التفسير الموضوعي
دراسة نظرية وتطبيقية

إعداد

د. حاكم بن قاسم الحاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله الذي حفظ كتابه من التحريف والتبديل، وأغنى المسلمين بشريعته عن الاحتياج إلى ما في التوراة والإنجيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وأصحابه الكرام الذين كانوا أهل عناية وأمانة، وحفظٍ ودراية. **أمَّا بعدُ**:

فلقد حظي القرآن الكريم على مر العصور باهتمام كبيرٍ لا يدانيه اهتمام، وعناية فائقة لا تعادلها عناية، فقد دأب علماء الأمة على ذلك، فألفوا فيه المؤلفات.

ولا شك أن أعظم العلوم والمعارف هي تلك المتعلقة بالقرآن العظيم، تفسيراً وفهماً واستنباطاً وتدبراً، فعلوم القرآن على رأس العلوم وأساسها، وغيرها تابع لها، خادم لمقاصدها، ولا شك أن من أعظم علومه، فهم معاني كلامه، وتدبر ما فيه من أنواع الهداية التي أنزلها الله لعباده.

وعلم التفسير من أعظم العلوم على الإطلاق؛ إذ هو الطريق إلى فهم معاني القرآن الكريم ومراد الله سبحانه وتعالى من خلقه، ومن هنا اعتنى العلماء –سلفًا وخلفًا– بهذا العلم اهتمامًا عظيمًا، وصنَّفوا فيه الكثير من المصنفات.

وظهر في العصر الحاضر منهج جديد في التفسير هو (التفسير الموضوعي) وأعجب به العلماء والباحثون، والقراء والدارسون، قُدم فيه الكثير من موضوعات القرآن وعلومه ومعانيه وحقائقه، وصدرت عنه دراسات عديدة، تلقاها الباحثون والدارسون بحيوية وتفاعل.

وسيكون حديثنا في هذه المادة عن (**التفسير الموضوعي**) الذي لا يزال غضّاً طرياً لم يستوِ على سوقه، ولم تستقر مسائله، ولم تتحدد قواعده بعد.

ودراستنا فيه ستكون في قسمين: الدراسة النظرية، والدراسة التطبيقية.

هيكل البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهرس.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، ومنهج البحث، وهيكل البحث.

التمهيد: تعريفات العنوان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

المطلب الثاني: سبب التسمية.

المطلب الثالث:. أقسام التفسير.

الفصل الأول: وفيه دراسة نظرية عن التفسير الموضوعي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفيه مقدمات عن التفسير الموضوعي، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: نشأة التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: أسباب ظهور التفسير الموضوعي المعاصر.

المطلب الثالث: أهمية التفسير الموضوعي.

المطلب الرابع: أبرز الكتب التي ألفت في التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: ألوان التفسير الموضوعي ونماذج منه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

المطلب الثاني: الموضوع القرآني.

المطلب الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

المبحث الثالث: علم المناسبات وعلاقتها بالتفسير الموضوعي، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبات، لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات.

المطلب الثالث: مسألة ترتيب السور.

المطلب الرابع: الضوابط المرعية في المناسبات.

المطلب الخامس: أشهر العلماء الذين اعتنوا بالمناسبات من المفسرين.

المطلب السادس: نموذج لمناسبات سورة المنافقون.

المبحث الرابع: خطوات البحث في التفسير الموضوعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خطوات البحث في موضوع من خلال القرآن الكريم.

المطلب الثاني:: الخطوات المرحلية للسير مع السورة القرآنية في التفسير الموضوعي.

الفصل الثاني: وفيه دراسة تطبيقية للوني التفسير الموضوعي، وفيه نموذجان:

النموذج الأول: نموذج " القوة في القرآن" نموذجا للموضوع القرآني، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وفيه مفهوم القوة، ودلالتها في السياق القرآني.

المبحث الثاني: مصادر القوة.

المبحث الثالث: وفيه أنواع القوة ومقوماتها.

النموذج الثاني: نموذج تفسير (سورة السجدة) تفسيراً موضوعياً وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث:

التمهيد: بين يدي السورة.

المبحث الأول: القرآن حق ومنزل من عند الله.

المبحث الثاني: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة – التوحيد – البعث والجزاء).

المبحث الثالث: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم وجزاء الفريقين.

المبحث الرابع: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة – التوحيد – البعث والجزاء.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات التي أخلص إليها في هذا البحث.

الفهارس: وتشمل: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

والله أسأل التوفيق والإخلاص والسداد، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وفيه تعريفات عنوان البحث، وأقسام التفسير،

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفات العنوان.

المطلب الثاني: سبب التسمية.

المطلب الثالث: أقسام التفسير.

❖ المطلب الأول: تعريفات العنوان:

مصطلح التفسير الموضوعي مركب وصفي، يتكون من جُزأين "التفسير " و " الموضوعي" وفهم المركب يتوقف على فهم أجزائه ثم بعد ذلك نعرِّف مصطلح " التفسير الموضوعي ".

- **أولاً تعريف التفسير:**

في اللغة: تفعيل من الفَسْر، وهو بمعنى الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (الفرقان: ٣٣)، أي أحسن إيضاحا وتفصيلاً، ومما وردَ في ذلكَ: فَسَرْتُ الذِّراعَ: إذا كشفتُه. وفسَّرتُ الحديثَ: إذا بيَّنتُه، وقيل: هو مقلوب من سَفَر، والأصل في السفر الكشف، يقال: سفرَتْ المرأة: كشفت عن وجهها، فهي سافر[2].

قال ابن فارس: "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه[3]" اهـ.

إذن: تفسير الكلام هو: بيان معناه، واظهاره وتوضيحه، وإزالة الإشكال، والكشف عن المراد منه، والفسر يكون في المعاني، وفي المحسوسات والأعيان.

وفي الاصطلاح: علم يُعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[4].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١٠٤)، ولسان العرب لابن منظور (٧/ ١٤٢)، وتاج العروس للزبيدي (١٨/ ٣١١)، المفردات للراغب الاصفهاني (ص ٢٦٥).

(٢) ينظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (٤٥٦/١)البرهان في علوم القرآن (١٤٨/٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١٠٤/٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١٠٤/٢).

وعرفه بعضهم بأنه: بيان معاني القرآن الكريم[١].

- **ثانياً: تعريف الموضوع:**

الموضوع لغة: من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به[٢].

وفي الاصطلاح: قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم[٣].

"وموضوعي" نسبة إلى موضوع وإضافة "تفسير" إلى "موضوعي" لما صارت علما على هذا الفن بعد أن ركبت معها وصارت كلمة واحدة كتركيب "معد يكرب "لما فتنوسيت تلك الإضافة "[٤].

ثالثاً: تعريف " التفسير الموضوعي" كمصطلح:

مصطلح " التفسير الموضوعي " مصطلح معاصر، استخدمه المفسرون والباحثون المعاصرون وأطلقوه على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعاً من موضوعات القرآن.

وبما أنه مصطلح معاصر فقد وردت فيه عدة تعريفات منها:

- **هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.**
- **وقيل:** هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن، الكريم في سورة واحدة أو سورة متعددة.
- **وعرفه بعضهم بقوله:** هو جمع الآيات المتفرقة في سورة القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

---

(١) أصول في التفسير لابن عثيمين (ص:٢٥).

(٢) أصول في التفسير لابن عثيمين (ص:٢٥).

(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (ص ١٦).

(٤) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار سعيد (٢٠- ٢٣).

قال مصطفى مسلم ولعل التعريف الأول هو الأرجح، لخلوه عن التكرار ولإشارته إلى نوعيه الرئيسيين[1].

المطلب الثاني: سبب التسمية:

سبب التسمية بالتفسير الموضوعي: لأن المفسر يقف عند هذا الموضوع الذي يريد تفسيره ولا يتجاوزه حتى يُلم بأطراف هذا الموضوع.

وعمل المفسر هو: جمع الآيات، وتقسيمها، واستخراج ما فيها من هدايات ومقاصد، ووحدة موضوعية.

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (ص ١٦) .

المطلب الثالث: أقسام التفسير[1]:

للتفسير أقسام عدة، وكل قسم مبني على اعتبار، ويكون هذا الاعتبار بالنظر إلى جهة من جهات التفسير.

ويمكن تقسيم هذه الاعتبارات إلى ما يلي:

١) باعتبار معرفة الناس له.

٢) باعتبار طريق الوصول إليه.

٣) باعتبار أساليبه.

٤) باعتبار اتجاهات المفسرين فيه.

هذه بعض الاعتبارات، وهناك اعتبارات أخرى يمكن تقسيم التفسير عليها، كاللفظ والمعنى، والاعتبار الزماني، والمكاني وغيرها.

❖ **أولاً: باعتبار معرفة الناس له:**

قسَّم حبر الأمة ابن عباس التفسير، وجعله أربعة أوجه[2]:

١) **وجه تعرفه العرب من كلامها:** وهذا الوجه من فروض الكفاية.

٢) **تفسير لا يعذر أحد بجهله:** وهذا داخل ضمن الواجب الذي يجب على المسلم تعلمه من التفسير.

٣) **تفسير يعلمه العلماء:** وهذا القسم من فروض الكفاية.

٤) **وتفسير لا يعلمه إلا الله:** ومن ادعى علمه فقد كذب.

---

(١) فصول في أصول التفسير (ص: ٢٨- ٣٥).

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري (١/٧٥)، تفسير ابن كثير (١/١٤) .

❖ **ثانياً: باعتبار طريق الوصول إليه: ينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:**

الأول: ما يكون طريق الوصول إليه الأثر، وهو التفسير بالمأثور.

الثاني: ما يكون طريق الوصول إليه الاجتهاد، وهو التفسير بالرأي.

❖ **ثالثاً: باعتبار أساليبه: ينقسم بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام**[1]:

١) التفسير التحليلي.

٢) التفسير الإجمالي.

٣) التفسير المقارن.

٤) التفسير الموضوعي.

وإليك تفصيلاً موجزاً عن هذه الأقسام:

الأول: التفسير التحليلي[2]:

هذا القسم هو الغالب على التفاسير، ويعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى تحليل الآية تحليلاً موسعاً مفصلاً، فيبين سبب نزولها، وبيان غريبها، وإعراب مشكلها، وترتيبها، وأحكامها، وأوجه القراءات فيها.

---

(١) قال الدكتور : مساعد الطيار : هذه التقسيمات المذكورة من تحليلي وإجمالي ومقارن تقسيمات فنية، ولا يعني هذا أن كل تفسير قد تميز بأحدها فقط، بل قد تجد في تفسير من التفاسير هذه الأقسام، ولكن الحكم للأغلب؛ فابن جرير تجد في تفسيره: التحليل والإجمال والمقارنة. ينظر: فصول في أصول التفسير (ص: ٣٣).

(٢) هو: بيان الآيات القرآنية بيانا مستفيضا من جميع نواحيها، بحيث يسير المفسر فى هذا البيان مع آيات السورة آية آية، شارحا مفرداتها، وموجهاً إعرابها، وموضحا معانى جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٧٨) .

فيكون هذا الاسلوب: يتناول بيان معاني الآيات تفصيلاً تحليلياً بمختلف الموضوعات والمباحث والمسائل.

ومن أمثلته:

١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية (ت ٥٤٢هـ).

٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤هـ).

٣) روح المعاني للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ).

٤) فتح القدير للشوكاني (ت١٢٥٠هـ) وغيرهم.

الثاني: التفسير الإجمالي[1]:

يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى بيان المعنى الشمولي للآيات دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها. أي أنه يقدم خلاصة مضمون الآية.

يركز هذا الأسلوب على المعنى العام للآيات دون التدقيق والتفصيل.

ومن أمثلته:

١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن سعدي (١٣٧٦هـ).

٢) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).

٣) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ).

٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، تحت عنوان «المعنى الإجمالي».

---

(١) هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني أيضا سورةً سورةً، إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا: ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٣/ ٨٦٢).

الثالث: التفسير المقارن[1]:

يقوم الباحث فيه بإجراء مقارنات بين عدة مفسرين، على اختلاف مناهجهم، حيث يجمع بين تفسيرهم لسورة قصيرة، أو مجموعة آيات، أو موضوع من موضوعات الإيمان أو الفقه أو اللغة وذلك ليتعرف على منهج كل مفسر، ومن ثم تسجيل النتيجة التي خرج بها ويرجح من خلالها بين أقوال المفسرين.

وهذه المقارنة لا تشمل تفسير القرآن كله، لأن هذا غير وارد، وإنما تكون خاصة بسورة قصيرة، أو موضوع معين كالسحر أو مسألة الاستواء على العرش أو مسألة رؤية الله في الآخرة.

وخلاصة هذا الاسلوب: أن يعمد المفسر إلى قولين في التفسير، ويقارن بينهما مع ترجيح ما يراه راجحاً.

ومن أمثلته:

١) تفسير ابن جرير الطبري، وغيره ممن يذكر أقوال المفسرين ويرجح بعضها على بعض.

٢) ومنه ما يقوم به ـ الآن ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري من عرضه في الإذاعة لتفسيره المسمى «تفسير التفاسير».

الرابع: التفسير الموضوعي:(وهذا اللون من التفسير هو مجال دراستنا في هذه المادة)

ويعتمد هذا الأسلوب على دراسة لفظة، أو جملة، أو موضوع في القرآن، وهو على ثلاثة أنواع:

١) **التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني** مثل مادة "جهل" في القرآن.

٢) **التفسير الموضوعي للموضوع القرآني**، مثل موضوع " الشورى في القرآن".

---

(١) تعريفه: هو الموازنة بين آراء المفسرين في بيان الآيات القرآنية، والمقارنة بين مناهجهم ومناقشة ذلك وفق منهجية علمية موضوعية، ينظر: التفسير المقارن عند المفسرين دراسة تحليلية د. محمد عمر فاروق (ص ٢٦٢) .

٣) **التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:** مثل دراسة موضوعية لـ"سورة محمد[١]"[٢].

❖ كل هذه الأنواع من التفسير متداخلة متساندة، لا يستغني المفسر بنوع منها عن الأنواع الأخرى ؛ لأن طريقة المفسر لها دور في تحصيل المعنى لم يكن بالإمكان الوصول إليه بطريقة أخرى ، فالتفسير التحليلي يكشف عن المفردات والإعراب والبلاغة وغير ذلك، مما لا يكشفه التفسير الإجمالي، وكذلك التفسير المقارن الذي تظهر فيه أقوال متعددة مما لا يظهر في التفسير المطلق،

---

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح الخالدي (ص٨) .

(٢) **هناك من عد نوعاً خامساً وهو التفسير العلمي:** والذي يتجه إلى بيان معاني ومضامين الآيات من خلال الحقائق العلمية والمعطيات التجريبية التي أثبتها العلم الحديث بواسطة الأجهزة والتقنيات والوسائل والمخترعات، وهذا أسلوب جديد في التفسير، أو نوع معاصر من أنواع التفسير، ويتخذ أشكالا عدة بالنظر إلى نوع العلم الذي يختص به فمثلا : هناك الإعجاز العددي أو الحسابي في القران، الإعجاز الطبي، والإعجاز الفلكي، وهو أيضا نوع من الحجة على الناس في هذا العصر. وهذا القسم مختلف فيه بين العلماء والراجح جوازه بشروط، وضوابط:

١) ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن من القرآن، وهو الهداية.

٢) مراعاة القواعد اللغوية المقررة في التفاسير والمعاجم اللغوية.

٣) عدم مخالفة إجماع السلف.

٤) تفسير القرآن بالحقائق العلمية والبعد عن النظريات والاحتمالات العلمية في تفسير الآيات .

٥) عدم الإفراط والاستطراد في البحث في الآيات الكونية، فالقرآن كتاب هداية للإنسان.

٦) عدم قصر دلالة الآية على الحقيقة العلمية.

ينظر: مناهج المفسرين أ. د علي العبيد (٢١٩-٢٢٣)، والخلاصة في علوم القرآن ل أ. د فهد الرومي (٢٧٤-٢٤٥)، مجلة كلية أصول الدين، العدد الثاني ص٥٨، تاريخ التفسير د حاكم الحاكم (ص٩٦).

وأيضاً التفسير الموضوعي يتم فيه التركيز على بعض المعاني التي قد توجد وقد لا توجد في المناهج الأخرى، وبهذا فهي جميعاً تتعاون ولا تتعارض، ولا تختلف لخدمة القرآن العظيم.

❖ **رابعاً: باعتبار اتجاهات المفسرين فيه:**

المراد بالاتجاه: الوجهة التي قصدها المفسر في تفسيره وغلبت عليه، أو كانت بارزة في تفسيره، بحيث تميز بها عن غيره.

والاتجاهات في التفسير لها اعتبارات:

أ) منها ما يكون بالنظر إلى المذهب العقدي للمفسر، فمثلاً:

١) **الاتجاه السلفي:** يمثله: تفسير جامع البيان لابن جرير(ت٣١٠هـ) وتفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وأضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي(١٣٩٣هـ).

٢) **الاتجاه المعتزلي:** يمثله: تفسير الكشاف للزمخشري(ت٥٣٨هـ).

٣) **الاتجاه الأشعري:** يمثله: تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ).

ب) منها ما يكون بالنظر إلى العلم الذي غلب على التفسير، ومن أمثلته:

١) **الاتجاه اللغوي:** يمثله: «معاني القرآن» للفراء، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة.

٢) **الاتجاه النحوي:** يمثله: «إعراب القرآن» للنحاس، و «البحر المحيط في الفتسير» لأبي حيان (ت٧٤٥هـ)، و «الدر المصون» للسمين الحلبي.

٣) **الاتجاه البلاغي:** يمثله: «الكشاف» للزمخشري (٥٣٨هـ)، و «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) [١].

---

(١) فصول في أصول التفسير (ص: ٣٦) .

الفصل الأول

وفيه دراسة نظرية عن التفسير الموضوعي، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقدمات عن التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: ألوان التفسير الموضوعي ونماذج منه.

المبحث الثالث: علم المناسبات وعلاقتها بالتفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: خطوات البحث في التفسير الموضوعي.

المبحث الأول

وفيه مقدمات عن التفسير الموضوعي، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: أسباب ظهور التفسير الموضوعي المعاصر.

المطلب الثالث: أهمية التفسير الموضوعي.

المطلب الرابع: أبرز الكتب التي ألفت في التفسير الموضوعي.

المطلب الأول: نشأة التفسير الموضوعي:

لم يظهر " التفسير الموضوعي "كمصطلح إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر.

إلا أن لَبِنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض، مما أطلق عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن، كان معروفًا في الصدر الأول، وقد لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه عندما سئل عن تفسير بعض الآيات الكريمة:

- روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، إنما هو الشرك))[(١)].

- روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] فقال: "مفاتح الغيب خمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] "[(٢)].

- ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم من الجمع بين الآيات القرآنية التي يظن بها بعضهم التعارض، كما روى البخاري قال: وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال: قال رجل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير(٦/ ٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: (١/٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير(٥/ ١٩٣).

لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ)، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)، ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا)، ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فقد كتموا في هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) إلى قوله: ﴿طَائِعِين) فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء، **وجواب هذا:**

الأول: نفي المسائلة يوم القيامة واثباتها: أن ليوم القيامة أحوالا ومواطن.

الثاني: كتمان المشركين حالهم، ثم افشاؤه: أنهم يكتمون بألسنتهم، فتنطق أيديهم وجوارحهم.

الثالث: خلق السموات والأرض، أيهما كان أولاً: أن الله خلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى: ﴿دَحَاهَا) [1].

وعليه فأصح الطرق في تفسير القرآن– أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان آخر"[2].

ومن أبرز تلك الأمثلة ما يتعلق بالمحرمات من بهيمة الأنعام على هذه الأمة نجد في ذلك عدة آيات: كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) [المائدة: ١].

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٥٥٧-٥٥٨)، التفسير الموضوعي لصلاح الخالدي (٣٨- ٤٠) .

(٢) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص٩٣).

وقد جاء تفصيل هذه المحرمات في عدة آيات منها قوله تعالى:﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقد اعتنى العلماء الأقدمون بهذا الفن من التفسير جمعا وترتيبا ودراسة واستنباطا وجالوا فيه وصالوا. وكان من فرسان ميدانه العلم العالم مقاتل بن سليمان الأزدي ت ١٥٠هـ حيث ألف فيه كتابا قيما سماه "تفسير الخمسمائة آية في الأمر والنهي والحلال والحرام " جعل ترتيبه على طريقة الفقهاء- رحمهم الله- في تأليفهم، بدأه بتفسير الإيمان، ثم ذكر أبواب الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم المظالم، ثم المواريث، ثم الربا، ثم الخمر، ثم النكاح، ثم الطلاق، ثم الزنا، ثم ذكر بعض الآداب والمعاملات في دخول البيوت، ثم ذكر أبواب الجهاد.

فمقاتل بن سليمان – رحمه الله – وإن لم يستقص ذكر الآيات ذات الموضوع الواحد في مكان واحد، فهو بحق من أوائل العلماء الذين كتبوا في التفسير الموضوعي[1].

ومن تلك المواضيع القرآنية:

كتاب الوجوه والنظائر[2] في القرآن الكريم. لمقاتل بن سليمان، وهذا العلم الجليل علاقته بالتفسير الموضوعي واضحة وقد اعتنى به علماؤنا الأقدمون والمتأخرون وألفوا فيه كتبا قيمة.

---

(١) حقق رسالة ماجستير وقام بتحقيقه عبيد الله لعلى السلمي بالجامعة الإسلامية ينظر ص ٦٠ منه.

(٢) **الوجوه** هو: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ العين والتي قد يراد بها : حرف العين، ويراد بها: العين المبصرة الجارحة المعروفة، ويراد بها : العين الجارية أي الماء الجاري، ويراد بها الجاسوس . فهي معاني مختلفة واردة للفظ واحد . **والنظائر**: اسم للألفاظ المختلفة لفظاً والمتفقة معنى، مثل: الابتلاء، والاختبار، والامتحان، ينظر: نزهة الأعين النواظر (٣٠٢/١)، البرهان في علوم القرآن(١٠٢/١)، الإتقان في علوم القرآن (١٢١/٢).

قال ابن الجوزي: "واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضوع الآخر. وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه.

فإذا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر.

والذي أراده العلماء بوضع كتب الوجوه والنظائر أن يعرفوا السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى"[1] انتهى.

وكذلك جمع الفقهاء الآيات ذات الصلة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية فجمعوا ما يتعلق بالوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة واستنبطوا منها الأحكام الخاصة بها، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوعها والقراءة فيها تحت كتاب الصلاة، وما يتعلق بالصدقات وجوبًا ومصارف وأنواع المال التي تخرج الصدقة منها تحت كتاب الزكاة، وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والفرائض والسير.

وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولى.

فقد ألف الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤هـ كتابه في الناسخ والمنسوخ.

وألف الإمام علي بن المديني "شيخ البخاري" والمتوفى سنة ٢٣٤هـ كتابه في أسباب النزول.

وألف الإمام ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ كتابه "تأويل مشكل القرآن".

وألف أبو بكر الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠هـ كتابه "أحكام القرآن".

وألف ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ كتابه "أحكام القرآن" أيضًا.

---

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر (١/ ٣٠٢).

وألف إلكيا الهراسي الشافعي المتوفي سنة ٥٠٤ هـ كتابه "أحكام القرآن" أيضًا.

وظهرت مؤلفات أخرى جميع أصحابها ما يشمله عنوان الكتاب:

مثل "أمثال القرآن" للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ.

وكتاب "مجاز القرآن" للعز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ.

وكتاب "أقسام القرآن" و"أمثال القرآن" لابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ.

ولا زال هذا الخط من التأليف في التفسير الموضوعي مستمرًا إلى يومنا هذا، وقد توجهت أنظار الباحثين إلى هدايات القرآن الكريم حول معطيات الحضارات المعاصرة وظهور المذاهب والاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية، والعلوم الكونية والطبيعية.

فنجد مؤلفات كثيرة تحت عناوين شتى مثل:

- الإنسان في القرآن.
- المرأة في القرآن.
- الأخلاق في القرآن.
- اليهود في القرآن.
- سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن.
- الصبر في القرآن.
- الرحمة في القرآن.

ومثل هذه الموضوعات لا تكاد تتناهى، فكلما جد جديد في العلوم المعاصرة، التفت علماء المسلمين إلى القرآن الكريم ليسترشدوا بهداياته وينظروا في توجيهات الآيات الكريمة في مثل هذه المجالات الجديدة [1].

---

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ١٧-٢٢)، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه لأحمد الزهراني (ص: ١٣-١٤).

المطلب الثاني: أسباب ظهور التفسير الموضوعي المعاصر:

١) **الطبيعة العامة لهذا العصر**، حيث شهد تحكم الجاهلية في العالم، وقيادتها للبشرية، وقيام الكفار بتصعيد الغزو الفكري ضد المسلمين.

٢) **الوضع العام المحزن للمسلمين في هذا العصر**، حيث شهد العصر الحديث انحسار الإسلام عن واقع المسلمين، فقاموا بدراسة موضوعات القرآن، وتقديمها للمسلمين ؛ ليفهموها ويستوعبوها، ثم ليتربوا عليها ويلتزموا بها.

٣) **إصدار أعمال علمية موضوعية عامة** تتعلق بالقرآن وألفاظه وموضوعاته، ساعدت هذه الدراسات المعجمية العلمية الباحثين في القرآن، وسهلت عليهم استخراج الموضوعات القرآنية من السور والآيات.

٤) **التفات أقسام التفسير في الدراسات العليا في الكليات الشرعية والجامعات الإسلامية** إلى أهمية الدراسات الموضوعية القرآنية، والكتابة فيها.

المطلب الثالث: أهمية التفسير الموضوعي:

١) أنه تفسير للقرآن بالقرآن، فما أطلق في مكان منه قيد في مكان آخر وما ذكر موجزا في موطن منه ذكر مفصلا في آخر.

٢) يُعد من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة.

٣) يرد على أهل الأهواء والشُّبه قديماً وحديثاً.

٤) إزالة ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيه ذلك توجيها سليماً.

٥) بالتفسير الموضوعي تظهر الحيوية الواقعية للقرآن، فهو يناقش قضايا ومشكلات حية.

٦) الاطلاع على أساليب القرآن الكريم المتنوعة.

٧) جمع الآيات المتناثرة في القرآن ذات الموضوع والهدف الواحد في مكان واحد، ثم دراستها دراسة متكاملة.

٨) يهتم بالهدايات القرآنية ويحاول الكشف عنها من خلال السياق والسباق للآيات الكريمة، ومن خلال تتبع الكلمة واستعمالاتها، ومن خلال التعرف على المناسبات والروابط بين السور والآيات، وبين بدايات الآيات وفواصلها وافتتاحيات السور وخواتيمها

٩) يسهم في تأصيل بعض العلوم المعاصرة: الاجتماعية، والتربوية، والاقتصادية[1].

(١) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه (ص: ١٢-١٣)، البداية في التفسير الموضوعي د/ عبد الحي الفرماوي (ص٥٢).

المطلب الرابع: من أبرز الكتب التي ألفت في التفسير الموضوعي:

١) (**الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**) للدكتور محمد محمود حجازي، أول رسالة علمية تكلمت عن التفسير الموضوعي، رسالة دكتوراه، عام ١٩٦٧م.

٢) **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** للدكتور أحمد السيد الكومي.(١٣٨١هـ).

٣) **مباحث في التفسير الموضوعي** للدكتور مصطفى مسلم (١٣٨٩هـ).

٤) **المدخل إلى التفسير الموضوعي** للدكتور عبدالستار السعيد.

٥) **البداية في التفسير الموضوعي** للدكتور عبدالحي الفرماوي.

٦) **التفسير الموضوعي بين كفتي الميزان** للدكتور عبدالجليل عبدالرحيم.

٧) **الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي** للدكتور الحسيني أبو فرحة.

٨) **دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور** زاهر عواض الألمعي.

٩) **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق** للدكتور صلاح الخالدي.

١٠) **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**: موسوعة مكونة من عشر مجلدات؛ أعدها مجموعة من المتخصصين في القرآن وعلومه، اشتملت على تفسير القرآن الكريم تفسيرًا موضوعيًا، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ – ٢٠١٠م).

١١) **موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** (٣٦) مجلدًا، ويعرض الموضوعات القرآنية الـ ٣٦٥ التي تناولتها الموسوعة (١٤٤٠هـ).

المبحث الثاني

وفيه ألوان التفسير الموضوعي ونماذج منه، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اللون الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

المطلب الثاني: اللون الثاني: الموضوع القرآني.

المطلب الثالث: اللون الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

من خلال الاستعراض التاريخي لنشوء علم التفسير والمؤلفات، فيه نستطيع أن نلحظ ثلاثة أنواع من ألوان التفسير الموضوعي[1].

المطلب الأول: لون التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

يختص هذا اللون بالمصطلحات والمفردات القرآنية، حيث يختار الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط الدلالات واللطائف والحقائق لهذه الكلمة.

ومصطلحات القرآن التي تصلح لهذا اللون كثيرة مثل: السلم، الجهاد، الأمة، الصدقة، الكتاب، المنافقون، الزكاة، أهل الكتاب، الربا.

فالمتتبع لمثل هذا يخرج بلون من التفسير لأساليب القرآن الكريم في استخدام مادة الكلمة ودلالاتها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن كتب **غريب القرآن**، وكتب **الأشباه والنظائر** قد تضمنت هذا اللون من التفسير، وهي العمدة في مثل هذه الأبحاث.

إلا أن المؤلفات القديمة من هذا اللون بقيت في دائرة دلالة الكلمة في موضعها، ولم يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، فبقي تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية.

أما المعاصرون الذين كتبوا في هذا اللون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواضع فكان أشبه ما يكون باللون الثاني من التفسير الموضوعي.

وفيما يلي ننقل نموذجًا على هذا اللون من التفسير الموضوعي من كتاب الدامغاني:

---

(١)ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٣-٢٦)، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح الخالدي(ص٥٩-٦١).

نموذج من كتاب: "إصلاح الوجوه والنظائر"، للدامغاني:

قال الدامغاني تحت مادة "خ ي ر": هي على ثمانية أوجه:

المال، الإيمان، الإسلام، أفضل، العافية، الأجر، الطعام، الظفر والغنيمة.

الوجه الأول: الخير بمعنى المال: قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) يعني مالًا، كقوله تعالى فيها: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) وكقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ) أي لا تنفقوا مالًا وقوله تعالى فيها: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) يعني من مال، وقوله تعالى في سورة "ص": ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) يعني حب المال، وكقوله تعالى في سورة النور: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يعني مالًا.

الثاني: الخير يعني الإيمان: قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ) يعني لو علم الله فيهم إيمانًا، كقوله تعالى فيها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) يعني إيمانًا، كقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا) يعني إيمانًا.

الثالث: الخير يعني الإسلام: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ) يعني الإسلام، نظيرها في سورة "ق": ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) يعني الإسلام نزلت في الوليد بن المغيرة منع ابن أخيه أن يسلم، نظيرها في سورة "ن".

الرابع: خير يعني أفضل: قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) يعني أفضل الراحمين، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أى أفضل الحاكمين، ونحوه قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) يقول أفضل من هذا.

الخامس: الخير يعني العافية: قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يعني بعافية.

السادس: الخير يعني الطعام: قوله تعالى في سورة القصص: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) يعني الطعام.

الثامن: الخير يعني به الظفر والغنيمة والطعن في القتال: قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) يعني ظفرًا وغنيمة".

ونلاحظ أن المؤلف لم يربط بين أصل الكلمة واستعمالاتها وسياق الآيات التي وردت فيها الكلمة: ليبني عليها هداية قرآنية، أو ليستنبط من دلالات اللفظة وسياق استعمالاتها توجيهًا قرآنيًا معينًا. وإنما بقيت الكلمة حيث وردت في نطاق الدلالة اللفظية المفردة[1].

(١) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني(١٦٧-١٦٩)، ط. دار العلم للملايين.

نموذج من كتاب "المفردات في غريب القرآن"، للراغب الأصفهاني، (٥٠٢هـ) في كلمة "أمة":

والأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو اختيارًا، وجمعها أمم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَة﴾ أي صنفًا واحدًا وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي في الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ أي جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ أي على دين مجتمع.

وقوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي حين. وقرئ بعد أمه[1]: أي نسيان، وحقيقة ذلك بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ أي قائمًا مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة.

وروي أنه يُحشر زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحدة[2].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي جماعة.

---

(١) قراءة الحسن وهي قراءة شاذة، ينظر: القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي(ص ٥٧).

(٢) ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ١٤٣).

ثم انتقل إلى لفظة "أمي" ودلالات الكلمة، ثم إلى كلمة "الإمام" ودلالاتها، ثم إلى كلمة "الأم" بمعنى القصد، وختم المادة بالحديث عن حرف "أما".

وفي كل ذلك لم يتعرض لسياق الآيات التي استخدمت فيها كلمة "أمة" وإنما تعرض لها في مواطنها ولم يفصل القول في عناصر تكوين دلالات هذه اللفظة ولا مقومات استمرارها ودورها.

وقارن ذلك بما كتبه الدكتور أحمد حسن فرحات حول مصطلح الأمة ودلالتها اللغوية والفكرية والشرعية[1].

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني (ص ٨٦-٨٧) .

المطلب الثاني: لون الموضوع القرآني:

هذا اللون من التفسير الموضوعي يهتم بموضوعات القرآن العامة حيث يختار الباحث أحد هذه الموضوعات، وينظر في آيات القرآن التي عرضته، ويستخرج منها الدلالات المختلفة.

وطريقته أن يجمع الآيات ويستنبط منها عناصر الموضوع، ويقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه ويتحدث عنه مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء أضواء قرآنية عليها.

ويتجنب خلال بحثه التعرض للأموال الجزئية في تفسير الآيات فلا يذكر القراءات، ووجوه الإعراب والنكات البلاغية إلا بمقدار ما تُلقي أضواء على أفكار الموضوع الأساسية، ويعرض ما يتحدث عنه بأسلوب جذاب لتوضيح مرامي الآيات ومقاصدها والحكمة الإلهية في عرض أفكار الموضوع بأساليب معينة واختيار ألفاظ محددة لها.

وهذا اللون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص، وإذا أطلق اسم "التفسير الموضوعي" فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه.

ولقد كثرت المؤلفات قديمًا وحديثًا في هذا اللون من التفسير الموضوعي فمن كتب في:

إعجاز القرآن.

والناسخ والمنسوخ في القرآن.

وأحكام القرآن.

وأمثال القرآن.

ومجاز القرآن... قديمًا إلا أمثلة ناطقة على أهمية هذا اللون من التفسير عند السلف الصالح من علماء هذه الأمة.

وكذلك الموضوعات المختلفة المعاصرة: المتعلقة بمجالات المعرفة المختلفة حيث ربطها الباحثون بالقرآن الكريم ونظروا بمنظاره إلى هذه المجالات وكيفية البحث عنها، سواء كانت هذه المجالات مما يتعلق بـ:

الكون المحيط بالإنسان من أرض وسماوات وكواكب ونجوم وبحار ومحيطات وجبال وأنهار ونبات وحيوان.

أو كانت مما يتعلق بالإنسان خلقه وتكوينه وعواطفه وغرائزه ومشاعره ونفسه وعقله، وأخلاقه وسموه وتسقله.

أو بالحياة الاجتماعية التي يحياها الإنسان في مجتمعه بدءًا بالعلاقات الأسرية والاجتماعية في القوم والعشيرة، والعلاقات الدولية والأمور الاقتصادية والسياسية، وأنظمة السلم والحرب والدعوة إلى الله، وأخذ العبر والعظات من سير الأقوام والأمم الماضية.

وما يتعلق كذلك بأمور الغيب من البعث بعد الموت والحشر والحساب والجنة والنار، وصنوف النعيم في دار السعادة للمتقين، وصنوف الشفاء للتعساء في دار الجحيم.

ولا تكاد تنتهي مثل هذه الموضوعات، بل كلما جدت علوم وصنوف من المعرفة لدى الإنسان يجد الباحث في القرآن الكريم ما يشبع فكرة اقتناعًا، وقلبه طمأنينة من عرض القرآن الكريم لأساسيات هذا اللون من المعرفة بوضع الأسس العامة والتوجيهات الأساسية في هذا الشأن[1].

ومن النماذج لهذا اللون من التفسير الموضوعي:

النموذج الأول: الصبر في القرآن للدكتور يوسف القرضاوي.

وقد جعل القرضاوي كتابه في خمسة فصول:

---

(١)ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٧-٢٨).

الفصل الأول: حقيقة الصبر في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: مجالات الصبر في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: منزلة الصبر والصابرين في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: شخصيات صابرة ذكرها القرآن الكريم (أيوب – يعقوب – يوسف- إسماعيل عليهم الصلاة والسلام.

الفصل الخامس: ما يعين على الصبر.

النموذج الثاني: الوسطية في ضوء القرآن للدكتور ناصر العمر.

الفرق بين اللون الأول (لمصطلح القرآني) واللون الثاني (الموضوع القرآني):

أن الباحث في المصطلح القرآني يبقى مع المفردة القرآنية التي اختارها ويتابع معناها في معاجم اللغة، واشتقاقاتها وتصريفاتها في القرآن، ومن ثم استخراج اللطائف والدلالات لهذا المصطلح.

أما الباحث في الموضوع القرآني: فإن بحثه أعم وأشمل من الأول، وميدانه في البحث أوسع، ووقفاته الفكرية معه أكثر، ومعالجته الواقعية لحاجات ومشكلات أمته من خلاله أوضح.

المطلب الثالث: لون التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:

يختار الباحث في هذا اللون من التفسير الموضوعي سورة من القرآن الكريم، وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة، ويقف مع آياتها وقفات مطولة، ويتعرف على موضوع السورة ومقاصدها والهدف الأساسي لهذه السورة، ويكون الهدف هو محور التفسير الموضوعي في هذه السورة.

وطريقة البحث في هذا اللون هو:

أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي، أو أهدافها الرئيسية.

ثم يبحث عن سبب النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة.

ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور المكية أو المدينة.

ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة.

وسيجد الباحث أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية.

فمن المعلوم أن السور المكية قد عرضت أسس العقيدة الإسلامية الثلاثة بشكل مفصل:

الألوهية، الرسالة، البعث بعد الموت، لذا يمكن أن يتناول الباحث في كل سورة مكية أحد الجوانب الثلاثة من العقيدة.

كما اشتمل كثير منها على الحث على أمهات الأخلاق والتنفير من مرذولها.

ولم يظفر هذا اللون من التفسير الموضوعي بعناية المفسرين القدماء بل جاء في ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور وخاصة القصيرة منها.

فالذين استشرفوا الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من القدماء: الإمام الزمخشري في الكشاف، والإمام فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب، والإمام القُمّي النيسابوري.

وكذلك منهم من توخى وجه المناسبة بين مقاطع بعض السور:

كما فعل الفخر الرازي في تفسيره الكبير.

وكذا فعل البقاعي في نظم الدرر.

وعبد الحميد الفراهي في كتابه نظام القرآن.

أما في العصر الحديث فقد كان سيد قطب مولعًا بعرض أهداف وأساسيات كل سورة، قبل البدء في تفسيرها، وبيان شخصية كل سورة وملامحها المتميزة عن بقية السور، والأساليب المتبعة في عرض أفكارها.

من النماذج المعاصرة لهذا اللون من التفسير الموضوعي:

١) كتاب "في ظلال القرآن" لسيد قطب نموذجًا جيدًا وبخاصة مقدمة تفسيره لكل سورة.

٢) "تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام"، وكتابه "معركة النبوة مع المشركين" أو: قضية الرسالة كما تعرضها سورة الأنعام وبينها القرآن الكريم، لإبراهيم زيد الكيلاني.

٣) "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان " لعبدالحميد الفراهي، وقد توفي قبل إتمامه.

٤) تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع" لعبدالرحمن حبنكة.

أما ما كتبه د. محمد البهي في رسائله المسماة بالتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم فلا أعتبره من التفسير الموضوعي وإنما هو تفسير إجمالي للآيات في السورة كما لم يحدد موضوع كل سورة فسرها، وإنما جاء بكلام إنشائي للمعنى الإجمالي للآيات[1].

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٩-٣٠)، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح الخالدي(ص٦٤-٦٥).

المبحث الثالث

علم المناسبات وعلاقتها بالتفسير الموضوعي، ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الاول: تعريف المناسبات، لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات.

المطلب الثالث: مسألة ترتيب السور.

المطلب الرابع: الضوابط المرعية في المناسبات.

المطلب الخامس: أشهر العلماء الذين اعتنوا بالمناسبات من المفسرين.

المطلب السادس: نموذج لمناسبات سورة المنافقون.

علم المناسبات والتفسير الموضوعي:

علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي –وبخاصة التفسير الموضوعي للسورة– وذلك لأننا نلحظ أن الآية أو مجموعة الآيات تنزل في أسباب مختلفة وحوادث متفرقة ثم توضع في سورة واحدة، وبرغم البعدة الزمنية بينها إلا أننا نجد أن وحدة الموضوع يجمعها ومرمى الهدف والغاية من سياقها جميعها شيء واحد.

المطلب الأول: تعريف المناسبات، لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف علم المناسبات لغةً: جمع مناسبة، قال ابن فارس: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به" [(١)].

وقال الزركشي (ت: ٧٩٧هـ): "المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانًا ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه" [(٢)].

وعليه فمعنى المناسبات في اللغة هو المقاربة والمشاكلة.

ثانياً: علم المناسبات اصطلاحًا: هو الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه.

- **وفي كتاب الله**: تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها.
- وقيل هو: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"[(٣)]، أي أجزاء القرآن، فهو ذلك العلم الذي يبحث في علل ارتباط الآيات والسور بعضها ببعض، **وهو يشمل:**

---

(٧) مقاييس اللغة (٤٢٣/٥).

(٢) البرهان للزركشي (٣٥/١).

(٣) البرهان للزركشي (٣٥/١).

- ✓ المناسبة بين السورة وسابقتها.
- ✓ المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.
- ✓ المناسبة بين اسم السورة ومحورها.
- ✓ المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها.
- ✓ المناسبة بين مقاطع السورة بعضها مع بعض.

ويمكن التعبير عنه بأنه: علم يعرف به أوجه الاتصال بين كلمات القرآن وبين آياته وبين سوره.

❖ **الهدف من دراسة هذا العلم**:

١) إظهار البلاغة من الكتاب العزيز وبيان ذلك في كل جملة من جمله، وفي كلّ آية من آياته.

٢) بيان الداعي إلى وضع كل جملة في مكانها وإقامة حجتها في ذلك وبرهانها من خلال إدامة النظر والتدبر حتى يظهر للدارس وجه الارتباط، فيدرك المعاني العظيمة المقصودة من ذلك النظم[١].

❖ **موضوع علم المناسبات**: بيان علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم.

❖ **ثمرته:** استشعار عظمة القرآن الكريم من خلال "الاطلاع على المرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق والذي هو كلحمة النسب".[٢] لأن قيمة الكلام ومعانيه مستقلاً تختلف كثيراً عن قيمته في السياق.

ومما تقدم يتضح جلياً أن عمدة المناسبات القرآنية وأساسها الذي ترتكز عليه هو " ترتيب الآيات والسور"، وقد قال الإمام الزركشي عن علم المناسبات: "وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي وهو الراجح" [٣].

(١) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ١٤٢/١

(٢) المصدر السابق.

(٣) البرهان للزركشي: ٣٨/١

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات:

١) **المناسبة علم شريف**، تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء."[١]

٢) **المناسبات من أظهر الأدلة على إعجاز القرآن الكريم**

إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيباً وتماسكًا"[٢].

وقال البقاعي عن علم المناسبات:" وهو سرّ البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال"[٣].

وقال الفخر الرازي:" والقرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه هو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك" [٤]

فالتناسب من أبرز دلالات الإعجاز القرآني فهو معجزٌ بنظمه البديع وترتيبه المحكم ومعانيه الشريفة العظيمة، وإعجاز القرآن بنظمه وفصاحته وبلاغته هو من أعظم أوجه الإعجاز المتَّفق عليها بين العلماء في الكتاب العزيز[٥].

٣) **المناسبات تساعد على حسن التأويل ودقة الفهم لآيات الكتاب المبين**؛ لأنها تعين على إدراك اتساق المعاني بين الآيات المترابطة في النظم، فيظهر التكامل في السياق ويزداد المعنى

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣٥/١

(٢) المناسبات بين الآيات والسور، د. سامي عطا حسن :١٤/١

(٣) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور: ١٤٢/١

(٤) مفاتيح الغيب: ١٠٦/٣

(٥) ينظر الإتقان (٣٠٧/٢ -٣١٤).

المراد وضوحاً، فللمناسبة علاقة مباشرة بالسياق، ودلالة السياق محل اعتبار في قواعد التفسير باتفاق المفسرين، يقول الزركشي:" دلالة السياق متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"[١].

ويلفت البقاعي النظر إلى هذا المعنى الجليل في علم المناسبات فيقول:" وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللبّ، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب" [٢].

وهكذا يحصل المتدبر بإمعان على سعة في المعنى من تتالي آيتين أو سورتين؛ لأن هذا الارتباط بينهما ينشئ معنًى زائدًا على القول في تفسير كلٍّ منهما على حدة، فيؤدي ذلك إلى زيادة اليقين بهذا الكتاب العظيم وبأنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤٢] ويشع الأثر الروحي في النفس فيكسبها الطمأنينة، ويؤدي ذلك إلى استشعار عظمة القرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الردّ.

٤) المناسبات هي مفاتيح معرفة لطائف القرآن وحِكمه:

يقول الرازي:" إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط" [٣]، ولا شكّ أنّ المناسبات تكشف عن مزيد من المعاني في الآيات، وتعزز اليقين بأن هذا الكتاب العظيم من لدن حكيم خبير، إلّا أنّ معظم معاني القرآن لا يحتاج فهمها إلى تكلّف في إدراك أسرار النظم القرآني.

المناسبات تسهل الطريق إلى تدبر القرآن الكريم: إذ تعين على معرفة القول السديد في معنى الآيات كما تعين على التلذذ بجمال القرآن الكريم والتفكّر في آياته، خصوصًا حينما تبدو أجزاء

---

(١) البحر المحيط: ٥٢/٦

(٢) نظم الدرر: ٧/١

(٣) مفاتيح الغيب: ١١٠/٤

الكلام بعضها آخذٌ بأعناق بعض، حيث يقوى بذلك الارتباط وتكون الآيات كالكلمة الواحدة متَّسقة المعاني منتظمة المباني[1].

قال ابن تيمية: "فتدبَّرْ تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض، فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج" [2].

٥) **المناسبات تساعد على تذكر الآيات وتثبيت حفظها**. وهذا ما يشهد به حفاظ كتاب الله المجيد، فالمناسبة أمرها دقيق، وسرها عجيب وحجتها بالغة.

ثانياً: ترتيب الآيات والسور

أولًا: ترتيب الآيات:

لا خلاف في أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي، كما بلغه رسول الله ﷺ عن ربه، وقد نقل الإجماع على ذلك جماعة من علماء الأمة، وقال الإمام ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ): "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين" [3].

---

(١) يُنظر البرهان للزركشي: ٣٦/١

(٢) مجموع الفتاوى: ٩٤/١٥

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن: ٤٤

المطلب الثالث: مسألة ترتيب السور.

اختلف العلماء في ترتيب السور على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنّ ترتيب السور توقيفي:

القول بأن ترتيب السور بتوقيف من النبي ﷺ منقول عن جمعٍ من الأئمة منهم: أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ)[١]، وأبو جعفر النحاس(٣٣٨هـ)[٢]، والكرمان[٣]، وابن الزبير[٤]، والزركشي[٥]، والألوسي ونسبه للجمهور[٦]، وغيرهم:

وقال أبو جعفر النحاس: "المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ." [٧]

وقال الكرماني: "ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ، وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين"[٨].

وقال ابن الحصار: "وترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي" [٩].

وقال الزركشي: "فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبةٌ سورهُ كلُّها

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢١٧/١

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٢١٨/١

(٣) البرهان في توجيه متشابه مشكل القرآن: ٢١٧/١

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن: ٥٣

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣٧/١

(٦) روح المعاني: ٢٧/١

(٧) الإتقان في علوم القرآن: ٢١٨/١

(٨) البرهان في توجيه متشابه مشكل القرآن: ٢١٧/١

(٩) الإتقان في علوم القرآن: ٢١٧/١

وآياته بالتوقيف"[1].

وقد نَسَبَ الألوسي هذا القول إلى الجمهور فقال: "وأما ترتيب السور ففي كونه اجتهاديًا أو توقيفيًّا خلاف والجمهور على الثاني."[2]

فظهور الإحكام والتناسب بين السور في ترتيب القرآن الكريم يؤكد أن هذا الترتيب صادر من لدن حكيم خبير؛ إذ لو كان ذلك باجتهاد بشري من الصحابة لكان حريًّا بهم أن يرتبوا سوره على قاعدة مطردة تراعي المتماثلات والمتجانسات من السور، فهو لم يرتب على حسب النزول، ولا على حسب الطول والقصر، ولا على الموضوعات والمقاصد، ولا على الفواتح كالحروف المقطعة والنداء والحمدلة وغيرها، ولو كان الترتيب اجتهاديًا لذكرت المسبحات ولاءً كما ذكرت الطواسين والحواميم ولاءً، ولذكرت النظائر كالانفطار والانشقاق تباعًا، ولما لم يكن ذلك عُلم أن ترتيب السور توقيفي.[3]

القول الثاني: إن ترتيب السور اجتهادي:

وأصحاب هذا القول يرون أن الاجتهاد كان في كل سور القرآن، وأنه باجتهاد من الصحابة–رضي الله عنهم– بتفويضٍ من النبي ﷺ.

وممن قال بهذا القول: مالك، وابن فارس، وأبو بكر الباقلاني، وابن الزبير، وبدر الدين الزركشي، وإبراهيم بن عمر البقاعي.

وقد حكى القاضي عياض وابن الزبير وبدر الدين الزركشي وجلال الدين السيوطي نسبة هذا القول إلى الجمهور.

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣٧/١

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

القول الثالث: إن ترتيب السور منه ما كان توقيفياً، ومنه ما رُتِّب باجتهاد الصحابة:

وممن صرحوا بأن ما لم يرتب من السور في عهد النبي ﷺ رتَّبه الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين–: مكي بن أبي طالب، وابن عطية فقد قال ابن عطية: " وظاهر الآثار أن السبع الطوَل والحواميم والمفصل كان مرتبا في زمن النبي ﷺ، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك الذي رتب في زمن الكَتب" [(١)] ونَقلَ عن مكي قولا مماثلاً لقوله.

وممن قال بهذا الرأي كذلك: البيهقي[(٢)]، وابن العربي[(٣)]، والقرطبي[(٤)]، وابن كثير[(٥)]، والسيوطي[(٦)].

الترجيح:

الراجح والله علم – هو القول الأول والقائل بأن ترتيب السور توقيفياً ويدل على ذلك:

١) يتضح من الأدلة التي استدلَّ بها كل فريق ومن مناقشتها أن أدلة الفريق الأول القائلين بالتوقيف هي الأقوى، وهي الأنسب لمقام القرآن المجيد، وهي الموافقة لترتيب القرآن المحفوظ في الصدور والسطور إلى يومنا هذا، وقد تقدمَّ قول بعض الأئمة العلماء بأن ترتيب القرآن الذي شاهدوه في عصورهم المختلفة هو الموافق لما في اللوح المحفوظ من ترتيب الآيات والسور دون زيادة

---

(١) المحرر الوجيز: ١/٤٧

(٢) تفسير القرطبي: ٢/٤٤٦

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ٢/٤٤٦

(٤) تفسير القرطبي: ٢/٤٤٦

(٥) فضائل القرآن: ١٤٣

(٦) أسرار ترتيب سور القرآن– تناسق الدرر: ٤٧

أو نقص أو تقديم أو تأخير، وهو الذي يتفق مع حفظ الله لكتابه كما قال عزَّ وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾.

٢) بعض القائلين بأن ترتيب السور اجتهادي تردَّدُوا في رأيهم، بل ومال بعضهم إلى القول بالتوقيف أو قال بعضهم باحتمال القولين كالإمام الباقلاني رحمة الله عليه، وهم يقرُّون بصحة ترتيب المصحف الذي كانت تقرأه العامة في زمانهم.

٣) أن الخلاف في ترتيب السور؛ هل كان توقيفيًا أو كان اجتهاديًا ؟ لم يكن له كبير أثر عند العلماء – ما دام الاتفاق قائمًا على صحة الترتيب منذ عهد الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا – حتى إنهم.

المطلب الرابع: الضوابط المرعية في المناسبات:

١) **عدم التعجل في ذكر المناسبة**، فقد لا تظهر المناسبة لمبتغيها، وقد تحتاج مزيد تدبر، أو تكرار تأمل في تفسير الآيات؛ لذا فلابد من التمعن والنظر بتؤدة عند البحث عن المناسبة، لأن المناسبة متى استخرجت بطريقة صحيحة غير متكلفة؛ وكانت متفقة مع التفسير ودلالات اللغة أظهرت المعنى والدلالة على الإعجاز في النظم وجرت عليها المقولة بأنها: " أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول" [(١)]. وإذا لم تكن كذلك استعجم فهمها ولفظتها العقول السليمة وتكدّرت النفوس المطمئنة عند سماعها.

٢) **الوقوف على مقصد السورة أولاً** فهو مطلب للكشف عن المناسبة؛ لأن لكل سورة مقصد معين تدور جميع جمل تلك السورة في فلك ذلك المقصد، ومقصد كل سورة هادٍ إلى تناسبها،[(٢)].

٣) **إذا تعددت المناسبات في الموضع الواحد فينبغي اختيار أشدها موافقة للسياق**، مع مراعاة حسن إظهار المعنى؛ لأن التناسب يُعين على اختيار أحسن وجوه التفاسير، مع الحفاظ على روعة البيان، وبلاغة الأسلوب.

قال العز بن عبد السلام:" إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشدّ موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى"[(٣)].

٤) **الابتداء بذكر المناسبة في التفسير إذا كان وجه المناسبة لا يتوقف على سبب النزول.**

يقول صبحي الصالح:" لعل المفسرين إذن لم يبالغوا حين قدموا أحيانًا ذكر المناسبة بين الآيات على معرفة سبب نزولها، كلما رأوا هذه المناسبة هي المصححة لنظم الكلام، ولعلهم بلغوا ذروة التحقيق

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي ٦٨/٣

(٢) ينظر مصاعد النظر: ١٨٢/١ – ٢٠٩

(٣) الإشارة إلى الإيجاز: ص٢٢٠

العلمي حين أوجبوا البداءة بذكر سبب النزول حين يكون وجه المناسبة متوقفا على معرفة الأسباب"[1].

٥) **مراعاة واقع الحال – زمن النزول– في المناسبة بين الآيات**، ومعرفة عادات العرب وظروف معيشتهم، وطرائق لغتهم التي نزل بها القرآن الكريم، قال الزركشي: في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ... ﴾ فإنه يقال: ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذه الآية؟ والجواب: أنه جمع بينهما على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر؛ فإن كلّ انتفاعهم في معايشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب؛ وذلك بنزول المطر؛ وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون به ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم – لتعذر طول مكثهم في منزل– عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور."[2]

٦) **توافق المناسبة مع تفسير السلف**، لأن تفسير السلف أولى من غيره فهم الأعلم بمعانيه وأساليبه.

٧) **التوافق مع السياق القرآني**، فالمناسبة قائمة على الرباط الذي تنتظم به حلقات السياق. فلا ينبغي أن تخرج عن هذا المسار.

٨) **التوافق مع قواعد اللغة وأساليب البيان**. فإن هذا التوافق شرط من شروط التفسير الصحيح، والمناسبة جزء شريف من التفسير، وقد تقدّم في كلام الزمخشري ما يؤيد ذلك.

---

(١) البرهان: ١/ ٢٥

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٤٥

وخلاصة هذا المبحث أن علم المناسبات علم شريف من علوم القرآن يبحث في المعاني الرابطة بين كلمات وجمل الآية الواحدة، وبين الآيات، وبين السور وَفق أصول علمية وضوابط مرعية، وبه تظهر الحكمة من ترتيب آيات القرآن وسوره، وكل ذلك يشهد بإعجاز القرآن الكريم، ويقوي الارتباط به تلاوةً وحفظاً وتدبرًا وتلذذًا.

المطلب الخامس: أشهر العلماء الذين اعتنوا بالمناسبات من المفسرين:

١) **إمام المفسرين ابن جرير الطبري** (٣١٠هـ).

٢) **الإمام أبو حفص النسفي** (٥٣٧هـ): ولعله أقدم من دوَّن المناسبات في تفسيره بوضوح، مما بين أيدينا من الكتب المطبوعة حتى الآن، وسيأتي ذكر عنايته بالمناسبات في هذا البحث.

٣) **أبو بكر النيسابوري**: قيل هو أول من أظهر علم المناسبة. قال الشيخ أبو الحسن الشهرابانى: "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعل هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة." [(١)]

٤) **القاضي أبو بكر ابن العربي** (٥٤٣هـ) وقد سبق ذكر إشادته بعلم المناسبات. وله كتاب في "ترتيب آي القرآن" وهو المناسبات، ذكره في الناسخ والمنسوخ [(٢)].

٥) **فخر الدين الرازي** (٦٠٦هـ) وقد أشاد بهذا العلم واستنكر إعراض المفسرين عنه، واهتمَّ كثيرًا بذكر المناسبات بين الآيات والمناسبات بين السور في تفسيره (مفاتيح الغيب)، وأكثر منها واشتهر بذلك، وقد عُرف بأنه فارس هذا الميدان وحامل راية علم المناسبات، وقد تعرض في كتابه لعدة أنواع من المناسبات؛ كالمناسبة بين أجزاء الآية الواحدة، ومناسبة التذييل في الآية لما قبله، ومناسبة الآية للآية المجاورة لها، ومناسبتها لآية على بعد منها، ومناسبة المقطع من الآيات لما يليه، وهو يبين وجه الارتباط في الآيات، ويعتمد في ذلك على دلالة السياق وعلى ما تقتضيه بلاغة النظم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣٦/١

(٢) ينظر الناسخ والمنسوخ لابن العربي: ٢١٠/٢

٦) **أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي** (٦٣٧هـ) وقد اهتمَّ بذكر المناسبات في تفسيره (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل)، ولعله كان متكلفًا في بعضها حتى قال الإمام الذهبي عنه: "وعمل تفسيرًا عجيبًا ملأه باحتمالاتٍ لا يحتملها الخطاب العربي أصلًا"[١]، وقد استفاد البقاعي كثيرا من كتاب الحرالي في كتابه نظم الدرر.

٧) **أبو عبد الله بن محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب** (٦٩٨هـ)، وقد اعتنى بذكر المناسبات في كتابه (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير).

٨) **أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي** (٧٠٨هـ) وله كتاب (البرهان في تناسب سور القرآن). وقد ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها. ولعله بهذا الكتاب يكون أول من صنف مصنفاً خاصّاً بالتناسب.

٩) **كمال الدين ابن الزملكاني** (٧٢٧هـ) ومما ذكر لنا الإمامان الزركشي والسيوطي في كتابيهما في علوم القرآن؛ (البرهان والإتقان).

١٠) **أبو حيان محمد بن يوسف** (٧٤٥هـ)[٢] وهو تلميذ ابن الزبير، وقد اعتنى بذكر المناسبات في كتابه (البحر المحيط).واعتنى عناية خاصة بالمناسبات بين أوائل السورة وخواتيمها.

١١) **الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي** (ت٧٩٠هـ) وقد تحدث عن المناسبات في كتبه وخصوصًا في كتاب (الموافقات) وأشاد بأهميتها في التفسير.

١٢) **الإمام محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)** وقد اعتنى بعلم المناسبة وجعل هذا العلم علمًا من علوم القرآن، بل إنه صدَّر به كتابه واعتبره –في ترتيب كتابه –النوع الثاني من أنواع علوم القرآن بعد أسباب النزول مباشرة.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٧/٢٣

(٢) سبق ترجمته.

١٣) **سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي** (٨٨٠هـ) [1] وقد اعتنى بعلم المناسبات في كتابه (اللباب في علوم الكتاب)، وقد تأثر بالمناسبات عند الرازي، وكان ينقل عنه، وعن أبي حيان في مواضع كثيرة، وهو يذكر المناسبات بين السور، وبين فاتحة السورة وخاتمتها، ومناسبة أول السورة مع خاتمة ما قبلها، وكذا المناسبة بين أسماء السور ومقاصدها، بالإضافة إلى المناسبة بين الآيات.

١٤) **الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي** (٨٨٥هـ)، وهو فارس مغوار في هذا الميدان، وكتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) هو العمدة في علم المناسبات لمن جاء بعده، وهو يذكر في هذا الكتاب المناسبة بين السور والمناسبة بين الآيات، وقد يتكلف أحيانًا في إظهار المناسبة.

١٥) **الإمام جلال الدين السيوطي** (٩١١هـ)، اعتنى بعلم المناسبات سواءً في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) بحيث خصص (النوع الثاني والستون) من كتابه الإتقان في مناسبة الآيات والسور، وله كتاب (تناسب الدرر في تناسب السور) وقد طُبع بعنوان: (أسرار ترتيب القرآن)، ولم يذكر فيه المناسبة بين الآيات وإنما اكتفى بالمناسبة بين السورة وسابقتها، و ذكر فيه مناسبة آل حاميم في موضع واحد، وأما كتابه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) ففيه المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها.

١٦) **محمد الشربيني الخطيب** (٩٧٧هـ) وقد اهتم بذكر المناسبات في كتابه: (السراج المنير في الإعانة على معرفة كلام ربنا الخبير)، ومن أنواع المناسبات التي اهتمّ بها: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، ومناسبة مطلع السورة لخاتمتها، والمناسبة بين كلمات الآية الواحدة، والمناسبة بين الآية و التي تليها وهو يربط الآيات المتتالية بعضها ببعض.

---

(١) هو: أبو حفص عمر بن علي سراج الدين الدمشقي الحنبلي النعماني الشهير بابن عادل من مصنفاته اللباب في علوم الكتاب في التفسير توفي سنة: ٧٧٥هـ. وقيل غير ذلك. يُنظر ترجمته في: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٤١٨)، والأعلام (٥٨/٥).

١٧) **الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي** (٩٨٢هـ) وقد اعتنى بالمناسبات في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم).

١٨) **الإمام محمود بن عبد الله الألوسي** (١٢٧٠هـ)، ممن اهتم بعلم المناسبات في كتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، وقد عرف الألوسي بأنه من المكثرين في ذكر المناسبات.

١٩) **محمد جمال الدين القاسمي** (١٣٣٢هـ) وقد اعتنى في كتابه (محاسن التأويل) بهذا العلم. وهو يحرص على بيان المناسبة بين الآيات، يذكرها إنشاءً أو نقلاً عن البقاعي أو غيره.

٢٠) **عبد الحميد الفراهي** (١٣٤٩هـ) وله في المناسبات كتاب أسماه دلائل النظام، وقد تحدث فيه عن علم المناسبات وأهميته وربما بالغ في ذلك، وقد اهتمّ بالمناسبات في تفسيره المسمى بـ (نظام الفرقان وتفسير القرآن بالقرآن).

٢١) **محمد رشيد رضا** (١٣٥٤هـ) وقد كان اهتمامه بالمناسبات في (تفسير المنار) ظاهراً، فقد كان حريصاً على إظهار تميز وتفرّد أسلوب القرآن الحكيم بخصائص في النظم تستحقّ التدبّر والبحث، ومن ذلك المناسبات بين الآيات وبين السور، ولهذا كان كثيراً ما يذكر وجه المناسبة.

٢٢) **الإمام عبد الحميد بن باديس** (١٣٥٩هـ) وهو يذكر المناسبات بين كثير من الآيات التي يفسرها في كتابه (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

٢٣) **محمد عبد الله دراز** (١٣٧٧هـ) وكتابه (النبأ العظيم) يعد مرجعًا لا يُغفل في النظم القرآني.

٢٤) **محمد الطاهر ابن عاشور** (١٣٩٣هـ) وقد اعتنى بالمناسبات بين الآيات في كتابه (التحرير والتنوير).

المطلب السادس: نموذج لمناسبات سورة المنافقون والمفسرة تفسيراً موضوعياً[1]:

١) المناسبة بين اسم السورة ومحورها.

مناسبة ظاهرة حيث تدور السورة كما هو واضحٌ من عنوانها: حول ذم المنافقين والتحذير منهم.

٢) المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

في مطلع السورة الكريمةِ حديثٌ عن خصال المنافقين، وفي ختامها تحصينٌ للمؤمنين من دواعي النفاق ودوافعه، ومنها الاغترار بالدنيا وزخارفها الباطلة، والغفلة عن ذكر الله، وتسويف التوبة، والتواني عن عمل الخير.

٣) المناسبة بين السورة وسابقتها:

الصلة بين سورة المنافقين، وسورة الجمعة: صلة واضحة جلية، ولعلَّ من الدلائل على ذلك قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – بهما يوم الجمعة، يقرأ في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الثانية بسورة المنافقون، مما يدل على ما بينهما من تلازمٍ وترابط سوف يتضحُ لنا فيما يلي:

* **بينت سورة الجمعة** أن الموت حقيقة لا شك فيها وقدرٌ لا مفر منه قال تعالى في سورة الجمعة ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)) [الجمعة: ٨] وفي الآيةِ الكريمةِ تحدٍّ لليهود الذين يدَّعون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه وأصفياؤه، واختبارٌ عمليٌّ لهم: أن يتمنوا لقاءه كما يتمنى المحبُّ لقاء الحبيب، إن كانوا صادقين في دعواهم محبة الله لهم وزعمهم أنهم أولياؤه من دون الناس، فليقدموا برهانا عمليا على تلك المحبة المزعومة! ونظير هذا قوله تعالى في سورة البقرة ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٥- ٨).

الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)) [البقرة: ٩٤ – ٩٦]

وفي سورة المنافقون: تذكيرٌ بالموت، وتنبيهٌ إلى ضرورةِ الاستعدادِ له، والمبادرة إلى العمل الصالح قبل انطواء الصفحات وانقضاء الآجال،... قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)) [المنافقون: ١٠ – ١١]

ففي ذكره ما يرققُ القلوبَ القاسية ويرطِّبها، ويكبح النفوس الجامحة ويهذبها.

* **في سورة الجمعة** حديث عن اليهود وهم أشدُّ الناس عداوة للمؤمنين، ثم جاءت سورة المنافقين لتكشف عن عدوٍّ أشدَّ خطرا من اليهود، فضلا عما بين العدوَّين: اليهود والمنافقين على مرِّ العصور من تحالفاتٍ، وما تمكن اليهود في عصرنا هذا إلا بتآمر المنافقين، وكم تسربلَ يهودٌ بثياب النفاق فأضمروا الكفر وتظاهروا بالإسلام كيدا وتآمرا.

* **كما تكشف لنا السورتان** عن كذب اليهود والمنافقين في مزاعمهم، فاليهود زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس، والمنافقون ادعوا الإيمان فجاءت سورة الجمعة مفندة لمزاعم اليهود وتلتها سورة المنافقون تفندُ أكاذيب المنافقين وتفضحُ أراجيفَهم.

* **حديث سورة الجمعة** عن صلاة الجمعة ودعوة سورة المنافقون إلى ذكر الله والإنفاق في سبيله، وبين الصلاة والذكر والإنفاق تلازمٌ واضحٌ وترابطٌ وثيق.

قال تعالى في سورة الجمعة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)) الجمعة: ٩ – ١٠ وقال تعالى في سورة المنافقون ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠))[المنافقون: ٩ – ١٠].

* قال تعالى في سورة الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)) الجمعة: ١١.

وقال تعالى في سورة المنافقون ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)) المنافقون: ٧

* وبين الآيتين مناسبةٌ لطيفةٌ: فكم يحرصُ أعداءُ الإسلامِ على صرفِ جماهيرِ المسلمينَ عن دعوة الحق وشغلهم عن ذكر الله وعن الصلاة إما بالصفقات والتسوّقِ والأرباح، وإما بالملاهي والألعاب، حتى كثر في زماننا فنون الترويح ووسائل اللهو التي تصبُّ غالبا في جيوب وأرصدة

وإغلاق معاهد العلم الشرعي بزعم محاربة الإرهاب وتجفيف منابعه، وهي والله حربٌ معلنةٌ على هذا الدين، فكم أغلقوا من مؤسسات خيرية وتعليمية، وكم أوصدوا من مدارس ومعاهد قرآنيةٍ؟ وقطعوا الدعم عنها بحجة مقاومة الإرهاب! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

* فلا ينشغلُ أحدٌ عن طاعة الله بحجةِ الانشغال بطلب الرزق، قال تعالى في سورة الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١))، ولا يخشَ على رزقه من مخلوقٍ؛ فالرزق بيده تعالى وخزائنه تعالى ملأى لا يغيضها نفقة، قال تعالى في سورة المنافقون ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)).

٤) المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها:

تتناسبُ مقاطع السورة الكريمة مع المحور العام لها، إذ تمضي السورةُ الكريمةُ بما يتواكبُ مع محورِ السورةِ ومقاصدِها، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

٥) **المناسبة بين مقاطع السورة بعضها مع بعض:**

مقاطع السورة كما بيَّنا تنتظمُ في سلكٍ واحد وتدورُ في فلَكٍ واحد، وهو ذمُّ النفاقِ والمنافقين، وتحذير المجتمع المسلم منهم، ولسوف يتجلى ذلك من خلال تأملاتنا في هذه السورة الكريمة.

٦) **المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها.**

التناسبُ بين موضوعِ السورتينِ يتجلى في وجوه عديدة منها:

*__حديث سورة الجمعة__ عن اليهود وحديث سورة المنافقون عن المنافقين، وقد سبق بيان ذلك.

ذكر الموت في السورتين: فالأولى تتحدى اليهود أن يتمنوه إن كانوا صادقين في دعواهم محبة الله لهم وزعمهم أنهم أولياؤه من دون الناس، والثانية تذكر بالموت وتحثُّ على الاستعداد له والمبادرة إلى العمل الصالح قبل انطواء الصفحات وانقضاء الآجال.

قال تعالى في سورة الجمعة ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)) الجمعة: ٨

وقال تعالى في سورة المنافقون ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)) المنافقون: ١٠

* __حديث سورة الجمعة عن صلاة الجمعة__، ودعوة سورة المنافقون إلى ذكر الله والإنفاق في سبيله.

قال تعالى في سورة الجمعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)) الجمعة: ٩ – ١٠ وقال تعالى في سورة المنافقون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)) المنافقون: ٩ – ١٠

المبحث الرابع

خطوات البحث في التفسير الموضوعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خطوات البحث في موضوع من خلال القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الخطوات المرحلية للسير مع السورة القرآنية في التفسير الموضوعي.

المطلب الأول: خطوات البحث في التفسير الموضوعي:

أولًا: خطوات البحث في موضوع من خلال القرآن الكريم:

إذا أراد الباحث أن يطرق موضوعًا من موضوعات القرآن الكريم، لا بد أن يكون تصورًا لأبعاد الموضع، وأن يتدرج في جميع المادة العلمية حوله حسب الخطوات التالية:

١) اختيار الموضوع القرآني للبحث، بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات، كأن يبحث العدل في القرآن، أو الصدقة في القرآن، أو قصة إبراهيم في القرآن.

٢) جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع، أو تشير إلى جانب من جوانبه، فإذا اراد بحث موضوع "الرسول في القرآن " نظر الآيات التي تتحدث عن: الرسول، والنبي، والوحي، والتبليغ، والكتاب، والدعوة، ويختار الآيات التي لها اتصال مباشر بالرسول.

٣) استخراج معاني الألفاظ السابقة التي اختارها، من أمهات كتب اللغة.

٤) تسجيل ما يدور حول الآيات التي استخلصها من: أسباب نزول، وناسخ ومنسوخ، وقراءات صحيحة، ترتيب هذه الآيات حسب المكي والمدني وزمان النزول.

٥) دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى أمهات كتب التفسير التحليلي: كالطبري، والزمخشري، وابن كثير والقرطبي، وابن عاشور.

٦) تفسير الآيات تفسيراً إجمالياً، وذكر ما ورد في تفسيرها من أحاديث صحيحة، وأقوال للصحابة والتابعين[1].

---

(١) ملحوظات:

١- على الباحث في التفسير الموضوعي أن يجعل عناوين الأبواب والفصول من المادة القرآنية والعناصر البارزة فيه.

أما السنة المشرفة فدورها في التفسير الموضوعي التوضيح والبيان والاستدلال وذلك حفاظًا على قرآنية الموضوع.

وكذلك أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة اللغة، فكلها مادة للشرح والتوضيح والترجيح، ولا تشكل عناصر الموضوع الأساسية.

٧) تسجيل العناصر الأساسية للموضوع من خلال الآيات، وذكر ما فيها من حل للمشكلات العصرية.

٨) استخلاص الدلالات والعبر واللطائف من الآيات المجموعة.

٩) الاطلاع على الدراسات والأبحاث القرآنية الخاصة المعاصرةالتي له صلة بموضوعه القرآني.

١٠) وضع مخطط للبحث، وفق توجيهات البحث العلمي، بتحديد منهجه في البحث وطرقته فيه، وتفصيل أبوابه وفصوله ومباحثه.

فيقسم الموضوع إلى أبواب ويضع تحت كل باب فصولًا وتحت كل فصل مباحث فيجعل العنصر الأساسي الجامع عنوانًا للباب ثم يجعل العنصر الفرعي عنوانًا للفصل، ثم يجعل الجزئيات الصغيرة عناوين للمباحث.

١١) تحديد أهداف البحث [١][٢].

٢- على الباحث أن يلتزم بالمنهج الصحيح في التفسير، وذلك بإبعاد الروايات الضعيفة والإسرائيليات والقصص التاريخي عند عرض الموضوع القرآني وتركيز الجهد لاستنطاق النصوص الكريمة على قواعد اللغة والأساليب البيانية، ودقة الاستنباط منها.

٣- عند الحاجة إلى شرح كلمة غريبة أو توجيه، قراءة، أو إبراز نكتة بلاغية أثناء عرض أحد عناصر الموضوع، يجعل ذلك تعليقًا في الحاشية من غير استطراد يخل بتسلسل الأفكار وتعانق الفقرات وسلاسة الأسلوب وإشراقة البيان، ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٣٨) .

(١)وذلك بالآتي:- إبراز حقائق القرآن الكريم، وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة التشريع وجماله.

- عرض تلك الحقائق بأسلوب مشرق عذب بذكر الأفكار متسلسلة، واتباع الأسلوب البياني الصحيح الذي يفهمه أهل عصره، متجنبًا الألفاظ الغريبة المهجورة وأساليب السجع المتكلفة، ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٣٨).

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص:٣٧-٣٩)، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح الخالدي (ص٨٠-٨١).

المطلب الثاني: الخطوات المرحلية للسير مع السورة القرآنية في التفسير الموضوعي:

لقد ألفت مؤلفات قديمًا وحديثًا في تفسير سورة واحدة، وربما خص بعض العلماء تأليفًا مستقلًا حول سورة واحدة، نظرًا لمكانة هذه السورة الخاصة أو لاهتمامه بغرض تعرضت له السورة.

ولتفسير السورة الواحدة تفسيرًا موضوعيًا لا بد من اتباع خطوات منهجية علمية ليؤتي العمل ثماره، وتكون الثمار المتوقعة مكافئة للجهد المبذول.

ونذكر فيما يلي هذه الخطوات بشكل موجز ونفصل بعضها:

١) ذكر اسم السورة التوقيفي، وبين حكمة تسميتها بذلك الاسم، ويلاحظ الصلة بين اسمها التوقيفي وبين موضوعها العام.

٢) معرفة اسم السورة الاجتهادي، والرابط بين هذا الاسم الاجتهادي وبين موضوعها.

٣) تحديد زمان ومكان نزول السورة، وهل هي مكية أو مدنية، وهل نزلت في المرحلة المتقدمة أو المتوسطة أو المتأخرة من مرحلة الدعوة الإسلامية.

٤) التقديم للسورة بتمهيد يعرف فيه بأمور تتعلق بالسورة من حيث أسباب نزولها، وبعض خصائصها أو فضائلها.

٥) محاولة التعرف على الأهداف الأساسية للسورة، ومقاصدها الرئيسية، وذلك من خلال استعراض الأحداث البارة أو القضايا الأساسية التي تناولتها السورة، فمثلًا سورة "الإخلاص" تدور حول هدف واحد هو تقدير الوحدانية لله سبحانه وتعالى، وسورة "الكافرون" تدور حول المفاصلة عن الكافرين، وسورة "الزلزلة" و"القارعة" تدوران حول أحداث يوم القيامة والحساب فيه[1].

---

(١) وهناك من السور القصيرة ما تتعدد أهدافها أو أغراضها ولكنها لا تخرج في الغلب عن هدفين أو ثلاثة.

٦) التعرف على شخصية السورة وموضوعها الرئيسي، وعمودها الأساسي ثم التعرف على محاور السورة وخطوطها الرئيسية،

٧) ربط السورة بما قبلها من السور من حيث التناسب في الموضوع العام لكل منها، وذكر التناسب والربط بين السورتين، والاستعانة في ذلك بكلام البقاعي في تفسير " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ".

٨) تقسيم السورة الطويلة والمتوسطة إلى مقاطع أو فقرات، وبيان مقدمة السورة وأقسامها وخاتمتها.

٩) استنباط الهدايات القرآنية منها وذكر المناسبات بينها.

١٠) استخلاص أهم حقائق السورة، والدلالات التي تقررها، والإشارة إلى أبعاد السورة الواقعية، وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصر.

١١) الاطلاع على تفسير السورة في أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري والزمخشري، والرازي، وابن كثير، وابن عاشور، وسيد قطب لمعرفة تفسيرها التحليلي في هذه التفاسير.

فمثلًا: سورة "الطارق" تذكر هدفين هما التذكير بقدرة الخالق على الخلق والإبداع، وتقرير أن الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة حق من الخالق.

وسورة "الغاشية" تتناول أحوال الكافرين والمؤمنين يوم القيامة، وتذكر الاستدلال على القدرة والحكمة من خلال تدبر هيئات المخلوقات.

وسورة "النازعات" تتناول ذكر جنود الله من الملائكة المكلفين بالكون والمخلوقات، لتدفعها جميعًا إلى يوم الحساب. ومن باب إبراز فضل الشيء وقوته بذكر ضده تعرض السورة بإشارات سريعة أحوال فرعون وطغيانه وحشره لجنوده ليبين ضعفهم بالمقارنة بجند الله وسهولة أخذهم ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، ثم التعليق والتعقيب على ذلك ببيان ضعف الإنسان قياسًا إلى خلق السماوات والأرض وبيان مصير المكذبين والمصدقين.

١٢) بعد ذلك تأتي مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة التي سبق ذكرها في خطوات تفسير الموضوع.

وبذلك تبدو السورة موضوع البحث وحدة موضوعية واحدة، ذات شخصية بارزة، وموضوع عام، وعمود واضح، وأهداف محددة[١].

(١)مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٤٠- ٤٣)، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح الخالدي (ص٨٣-٨٦).

الفصل الثاني

وفيه دراسة تطبيقية للوني التفسير الموضوعي، وفيه نموذجان:

المبحث الأول: النموذج الأول: " القوة في القرآن" نموذجا للموضوع القرآني

المبحث الثاني: نموذج تفسير (سورة السجدة) تفسيراً موضوعياً.

المبحث الأول

وفيه: نموذج " القوة في القرآن" نموذجا للموضوع القرآني،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وفيه مفهوم القوة، ودلالتها في السياق القرآني.

المبحث الثاني: مصادر القوة.

المبحث الثالث: وفيه أنواع القوة ومقوماتها.

النموذج التطبيقي: للموضوع القرآني:

المبحث الأول: وفيه مفهوم القوة، ودلالتها في السياق القرآني ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القوة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف القوة في اللغة:

لفظ (ق و ي) ورد بعدة معاني:

١) **خلاف الضعف: قال ابن فارس:** القوة تدل على الشدة، وهي خلاف الضعف، والقوي: خلاف الضعيف....ورجل شديد القوى، أي شديدُ أسرِ الخَلْقِ[١]، وهي الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم، وتفيد الشدة وعدم الضعف.

٢) **الفقر والجوع وقلة الزاد:** القواء: الأرض التي لا أهل بها، ومنزل (قواء) لا أنيس به، (قويت) الدار و (أقوت) أي خلت، ويقولون: بات فلان القواء وبات القفر، إذا بات على غير طعم، والمقوي: الرجل الذي لا زاد معه [٢]، ولم يستعمل بهذا المعنى في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى:﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾[الواقعة: ٧٣].

٣) **الحجة والبيان:** نحو قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف: ١٤٥] قال الزجاج: أي: خذها بقوة في دينك وحجتك [٣].

٤) **العزيمة والجد والاجتهاد:** نحو قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾[البقرة: ٦٣] أي: خذوا الذي آتيناكموه حال كونكم عازمين على الجد بالعمل به[١].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٧) . ينظر: تاج اللغة للجوهري (٦/ ٢٤٦٩)، مختار الصحاح (١/ ٢٦٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٧)، مختار الصحاح (١/ ٢٦٣) ،

(٣) ينظر: معاني القرآن واعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٥)،تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٧٤) لسان العرب لابن منظور (٢٠٧/١٥)

٥) **القدرة والطاقة: نحو قوله تعالى:** ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] [٢]، وهناك فرق بين قدرة الله المطلقة التي لا حدود لها، وبين قدرة البشر التي تبدأ بالضعف ثم تنمو وتتصاعد لأسباب عديدة، منها الذاتي ومنها المكتسب.

ومما سبق يتضح لنا أن معنى القوة في اللغة يدور حول: الشدة، والقدرة، والجد والعزيمة، والفقر وقلة الخير.

ثانياً: التعريف في الاصطلاح:

قال الجرجانيّ: القوّة: هي تمكّن الكائن الحيّ من الأفعال الشّاقّة، فإن كان الكائن نباتاً سمّيت قوّته قوّة طبيعيّة، وإن كان حيواناً سمّيت قوّته قوّة نفسانيّة، وإن كان إنساناً سمّيت قوّته قوّة عقليّة، والقوى العقليّة باعتبار إدراكها للكلّيّات تسمّى القوّة النّظريّة، وباعتبار استنباطها للصّناعات الفكريّة من أدلّتها بالرّأي تسمّى القوّة العمليّة [٣].

وقيل هي: مبدأ الفعل مطلقاً سواء كان الفعل مختلفا أو غير مختلف بشعور وإرادة أو لا[٤].

وقال ابن عاشور: كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد منها [٥].

المطلب الثاني: معنى القوة في السياق القرآني:

وردت كلمة القوة ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة، في خمس وعشرين سورة، وفي ذلك دلالة على أهمية القوة في حياة الأمة المسلمة، سواء كانت مادية أو إيمانية.

وقد جاءت هذه الصيغ اثنتين وثلاثين مرة في المكي، و عشر مرات في المدني، بمعنى أن عدد

---

(١) الدر المصون للسمين الحلبي (٤٠٩/١) .

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص ٦٩٤) .

(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني (١٨٨)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٧٦) .

(٤) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١٣٤٢/٢) .

(٥) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٤/١٠) .

الآيات المكية يربو على ثلاثة أضعاف الآيات المدنية، مما يدل على أن حاجة المسلمين إلى القوة في العهد المكي حاجة ملحة، وخاصة قوة العقيدة والإيمان التي تمكن الدعوة من البقاء والاستمرار، بخلاف العهد المدني فالحديث عن القوة وضرورتها أقل وذلك لقيام دولة للمسلمين يعتمدون عليها بعد اعتمادهم على الله تحمي بيضتهم، وتدافع عنهم(١).

وقد ذكرت القوة في السياق القرآني في مواضيع مختلفة ومتنوعة ويدور معناها حول الآتي:

١) **القدرة الإلهية:** كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[البقرة: ١٦٥] ،﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحديد:٢٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال: ٥٢]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[هود:٦٦]، وقوله: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[الأحزاب: ٢٥].

٢) **القدرة عند الملائكة:** كما في قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٦٦] أي: قدرة على ما يكلف به لا يعجز ولا يضعف (٢)، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] أي: ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام (٣).

٣) **القوة عند الجن:** كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: ٣٩]، قال ابن عباس ﷺ: أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجوهر (٤).

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي (ص ٥٨٦-٥٨٧)، القوة أنواعها ومقوماتها وآثارها دراسة قرآنية موضوعية لخالد الحواجري (ص٤).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٦٠٧/٣)، التفسير الوسيط (١٨٠٧/١٠) .

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٧/٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٢٦) .

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦٥/١٩)، تفسير ابن كثير (١٧٣/٦) .

١) **القدرة البدنية:** كما في قوله تعالى:﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٣] أرادوا بالقوة قوة الأجساد والآلات [١]، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[فصلت: ١٥]

٤) **المعونة الخارجية:** كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود: ٨٠] أي: بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني [٢]، وقيل: قدرة أو طاقة [٣].

٥) **الرمي والإعداد واستخدام السلاح:** قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقد فسرها النبي ﷺ بقوله: ((ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)) [٤].

٦) **العزيمة والجد والنشاط:** قال تعالى:﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾[الأعراف: ١٤٥]، أي بجد ونشاط[٥]، وقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأعراف: ١٧١]، أي بجد وعزيمة ورغبة وعمل[٦].

٧) **الإخلاص وصدق النية:** قوله تعالى:﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾[البقرة: ٦٣]، أي بنية وإخلاص[١].

---

(١) ينظر: تفسير النسفي (٦٠٣/١٠)، تفسير البيضاوي (٢٣٨/٣) .

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤١٨/١٥)، التفسير البسيط للواحدي (٥٠٢/١١) .

(٣) ينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم مادة ق و ي (٣٦/٥) .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، رقم (١٩١٧)، (١٥٢٢/٣).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨١/٧)، فتح القدير للشوكاني (٢٧٨/٢).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٣٨/٣)، تفسير البيضاوي (١/ ٨٥)، البحر المحيط لأبي حيان (٣٩٣/١) .

٨) **الرجال الأشداء والأقوياء:** قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ [الكهف: ٩٥] أي اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم [٢].

٩) **الإتمام والإحكام:** كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾[النحل: ٩٢] أي: بعد إحكام [٣].

١٠) **الشدة بالمال والولد:** قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾[هود: ٥٢]، شدة مع شدتكم بالمال والولد[٤].

١١) **الفقر والجوع ونفاد الزاد:** كما في قوله تعالى﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾[الواقعة: ٧٣]، المقوي هاهنا الجائع، وقيل: الذي قد فني زاده[٥].

١٢) **الشدة والبطش:** نحو قوله تعالى: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[فصلت: ١٥] [٦].

---

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣٩٣/١) .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٨٩) .

(٣) ينظر: تفسير السمعاني (١٩٧/٣) تفسير الجلالين (ص٣٥٩) .

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (١٥٥/٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٥٧٨/٢)، تفسير البغوي (١٨٣/٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٣٦٤/١٨) .

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٥/٢٣)، تفسير ابن كثير (٣٠/٨)، تفسير السمرقندي (٣٩٧/٣) .

(٦) ينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم مادة ق و ي (٣٦/٥).

المبحث الثاني: مصادر القوة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوة الله الغالبة.

أولاً: قوة الله المطلقة في إهلاك الأمم السابقة:

لقد بين القرآن الكريم في أكثر من موضع أن قوة الله مطلقة لا حدود لها، وقوة المخلوقات محدودة ومقهورة مهما تعاظمت وتجبرت، فالله سبحانه وتعالى هو المنتقم من الظالمين الذين طغوا وبغوا وأكثروا في الأرض الفساد ولم يعملوا حساباً ليوم القيامة قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، في هذه الآية تحذير للكافرين وللطغاة في كل عصر أنه لا قوة تعلو فوق قوة الله وأن الجميع تحت سلطانه وإرادته ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز ﴾ [الحج: ٤٠] فالحق سبحانه مقتدر يأخذ كل كافر ولا يغلبه أحد ولا يعجزه شيء ولا يقهره قاهر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾[هود: ٦٦] أي القادر على كل شيء والغالب عليه في كل وقت [(١)]، وقد أهلك الله أمماً كثيرة نتيجة طغيانهم وعتوهم وتكذيبهم للرسل كقوم عاد، وقوم فرعون، وقوم ثمود، وهذا فيه عبرة للطغاة بأن قوة الله لهم بالمرصاد، وعبرة لأهل الإيمان ألا يخافوا قوة البغي في الأرض فمن فوقها قوة الله الغالبة.

مما سبق يتضح لنا، أن القوة الحقيقية لله عز وجل، وأن الجميع تحت سلطانه وإرادته، فلا قوة تعلو فوق قوة الله، ولا شرع أحكم من شرع الله، ولا شخص أصدق من رسل الله وأنبيائه.

ثانياً: قوة الله في الأنفس والآفاق:

قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت: ٥٣].

---

(١) ينظر: روح المعاني للألوسي (١٢/ ٩٢)، القوة أنواعها ومقوماتها وآثارها لخالد الحواجري (ص ١٤).

١) **قوة الله في الآفاق**: لقد جاءت آيات قرآنية كثيرة فيها الإشارة إلى قوة الله تعالى وقدرته من خلال ما أوجده في هذا الكون من سماء وأرض وجبال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء:٣٠] ففي هذه الآية دلالة على عظمة الله تعالى في خلقه، وأنه الرب المحمود الكريم المعبود، فيشاهدون السماء والأرض فيجدونهما رتقا، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامدة ميتة، لا نبات فيها، ففتقناهما: السماء بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافيا لا قزعة فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم ساقه إلى بلد ميت؛ قد اغبرت أرجاؤه، وقحط عنه ماؤه، فأمطره فيها، فاهتزت، وتحركت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع [(١)].

٢) **قوة الله في خلق الإنسان**: قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] بينت الآية أن الإنسان يمر في مراحل من العدم إلى الوجود الضعيف، ثمّ إلى الوجود القوي، ثم إلى الضعف والموت، ثم بعد الموت تتوالى الأطوار إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال ابن كثير– رحمه الله–: يخرج من بطن أمه ضعيفًا نحيفًا واهن القوى، ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيرًا، ثم حدثًا، ثم مراهقًا شابا، وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص، فيكتهل، ثم يشيخ، ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة، فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ،وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص، فيكتهل، ثم يشيخ، ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة، فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص ٥٢٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٦) .

المطلب الثاني: العلم والمال.

أولاً: العلم:

اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً كبيراً وحض عليه، ورغب في طلبه، وجعله فريضة من فرائضه، ولم يكتف الإسلام بالإرشاد إلى العلم بل حث الإنسان ودفعه إلى تحصيله واكتسابه، فقد أمر الله نبيه يحيى عليه السلام بالجد والاجتهاد في طلب العلم قال تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[مريم:١٢]، وقد بين الله عز وجل في كتابه العزيز أن العلم مقياس التفاضل والتمييز بين الناس قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقد نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم(١)، وهي ميزة أختصها الله لبني آدم عن كثير من خلقه.

وللقوة العلمية فوائد منها:

١) أنه سبب في تولي الأمر للقيادة الأهلية، والعلماء سلاطين بسبب كمالهم في القوّة العلمية، والملوك سلاطين بحسب ما معهم من القدرة والمكنة إلا ان سلطنة العلماء أكمل وأقوى من سلطنة الملوك؛ لأنّ سلطنة العلماء لا تقبل النسخ والعزل وسلطنة الملوك تقبلهما ولأنّ سلطنة الملوك تابعة لسلطنة؛ العلماء لأنّ سلطنة العلماء من جنس سلطنة الأنبياء وسلطنة الملوك من جنس سلطنة الفراعنة(٢).

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي (٣٨/٥) .

(٢) السراج المنير (٢/ ٧٧)، ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥٥٧/١٠) .

٢) أنه طريق إلى معرفة الخالق وإدراك قدرته وعظمته وحكمته، وهو الأساس في إعمار الكون والاستفادة من خيراته، وكماله القوة العلمية تكون بتوحيد الله وتقواه، ووضع الأشياء في موضعها، والقيام بالأمور كما ينبغي.

٣) أنه يحمي الفرد من الوقوع في الخطأ والزلات وإصدار الأحكام دون علم ولذا قال ﷺ في حديث الثلاثة الذين استقلوا عبادته: ((فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية)) [(١)].

مما سبق ندرك أن طلب العلم في الإسلام دعوة إلهية، وفريضة شرعية، يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا، وذلك لأنه الطريق إلى تنمية العقول والارتقاء بالأمم والنهضة بها، وعلى قدر أخذ الأمم بالعلم يكون نوضها الحضاري، ورقيها الصناعي، وازدهارها التجاري، ونموها الزراعي، واتساعها العمراني فهو الذي يرقى بالحياة ويجعلها وارفة الظلال جديرة بأن ينعم بها الإنسان ويسعد.

ثانياً: المال: إن المال قيام الحياة وقوامها، فقيمة كل أمة أولاً بما تملك، وبكثرة المال تختلف حضارات الأمم وينخفض أو يرتفع مستواها المعيشي، فللمال أثره في الحياة وفي تحصيل القوة، والمال نعمة من الله لما يستعمل في الحلال، وهو كذلك نقمة لما يستخدم في الحرام، ويغتر به الإنسان ويلهيه عن العمل للآخرة فيكون مستحوذاً على كل اهتمامه، وعاقبته الهلاك كما حل بقارون قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[القصص: ٧٨].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع (٧٣٠١) (٩/ ٩٧) ،ومسلم في صحيحه كتاب الرؤيا باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته (٢٣٥٦) (٤/ ١٨٢٩) .

ولا شك أن للمال دوراً في الجهاد، فبه يدافع عن دين الله ويجاهد به في سبيله، وقد ظهر ذلك في غزوة تبوك في تجهيز الجيش وقد كان لعثمان بن عفان ﷺ الدور الكبير في الإنفاق على الجيش حتى قال عنه النبيﷺ:((ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم كررها مراراً))[1]" والجهاد يكون بالمال والنفس لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحجرات: ١٥] وقال تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[التوبة: ٤١] ، وقدم المال لأهميته في تجهيز شئون الحرب وتمويل الجيوش[2].

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١٠٢/٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٣٢/٣) .

(٢) ينظر : القوة أنواعها ومقوماتها (ص ٣١) .

المطلب الثالث: الجاه والسلطان.

الجاه والسلطان إذا ارتبطا بالله كانا أداة إصلاح، ومصدر قوة وأمن، قال تعالى على لسان نبيه لوط عليه السلام: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود: ٨٠] وهذا بحسب الأسباب المحسوسة وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله تعالى، فهو ركنه الشديد وسنده القوي[١].

إن قوة الجاه والسلطان متى فقدت ارتباطها بالله اعتراها الظلم: فكثيراً ما يُقتل الأبريا جوراً وظلماً وعدوانا لأوهى الحجج، وأسخف المسوغات التي لا يقرها العقل والشرع [٢]، ويعتريها كذلك ذهاب النعم فيكون العقاب الذل وذهاب الجاه والسلطان وأكبر مثال على ذلك قارون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ...﴾[القصص: ٧٦]، ومتى ارتبط السلطان والقوة بالله يكون الإصلاح فمن لم يردعه القرآن اخافه السلطان، ((إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن)) [٣].

ومن عوامل قوة الجاه والسلطان:

١) **الاجتماع وعدم التفرق**: لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]قال الطبري – رحمه الله–: " أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء، ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ يقول: ولا تختلفوا فتفرّقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا، يقول: فتضعفوا وتجبنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وتذهب قوّتكم وبأسكم فتضعفوا، ويدخلكم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص ٣٨٦) .

(٢) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه (٣/ ٣٨) .

(٣)جاء عن عثمان موقوفا ونحوه عن عمر موقوف ينظر: الدر المنثور(٥/ ٣٢٩)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي رقم(١٤٢٨٤) (٥/ ٧٥١)، الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث لأحمد بن عبد الكريم الغزي (٥٧) (ص٦٠) .

الوهن والخلل " [1]، والريح: " الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره "[2].

فالوحدة الإسلامية مهمة في بناء الحضارة، لأنها تقضي على التنازع والفرقة، وتدعو إلى التآلف والتعاون على البر والتقوى، وكما أن الوحدة هي طابع قوة للمجتمع المسلم فهي أيضا انعكاس هذا الطابع على الدول الأخرى من غير المسلمين كجبهة قوية، تولد الرهبة في نفوسهم.

٢) **المشورة**: بما أننا نعتبر أن الشورى هي مصدر للقوة، وهذا الأمر نسترشد به من تعاليم ديننا الحنيف، من خلال قصة بلقيس التي كانت تتسلح بمبدأ الشورى مع مستشاريها، وتستعطفهم وترفع من مكانتهم، وهذا يتبين من خلال الآية الكريمة التي تحدثنا عن الرسالة التي وصلت إليها من نبي الله سليمان عليه السلام، وكيف أنها لم تنفرد بردها على تلك الرسالة، بل إنها جمعت كبار قومها واستشارتهم في كيفية الرد، قال تعالى حكاية عنها ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾[النمل:٣٢] قال الماوردي: "أفتوني أشيروا عليّ في هذا الأمر الذي نزل بي فجعلت المشورة فتيا [3].

وأكد القرآن الكريم على مبدأ الشورى، فجاءت الآية التي تأمر بالشورى مباشرة بعد الحديث عن غزوة أحد قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [ال عمران: ١٥٩] قال الشوكاني:" أي: الذي يرد عليك، أي أمر كان مما يشاور في مثله، أو في أمر الحرب خاصة، كما

(١)جامع البيان للطبري (٦/ ١٥).

(٢)الكشاف للزمخشري (٢ / ١٦٢).

(٣)النكت والعيون للماوردي (٤/٢٠٧) .

يفيده السياق، لما في ذلك من تطييب خواطرهم واستجلاب مودتهم، ولتعريف الأمة بمشروعية ذلك، حتى لا يأنف منه أحد بعدك. والمراد هنا: المشاورة في غير الأمور التي يرد الشرع بها[1].

(١) فتح القدير للشوكاني (١/٤٥١) .

المبحث الثالث: وفيه أنواع القوة ومقوماتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القوة المعنوية (قوة القلب).

القوة المعنوية " قوة القلب " نوع من أنواع القوة الرئيسية وفيها:

أولاً: أخذ التكاليف بيقين والعمل بها بقوة وعزيمة: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقوله: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]، في الآيات الكريمة بيانُ أنَّ التكاليف والآصار تحتاج إلى جد وعزيمة وقوة ونشاط، وعدم الكسل أو الميوعة والتراخي[١]، وعلينا نأخذ العبرة والعظة من عاقبة الذين أعرضوا عن الدين، ولم يأخذوه بالاهتمام والجدية المطلوبة، فكان عاقبتهم ومأواهم دار الفاسقين، وقوله تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[مريم:١٢] أمرٌ له بتعلم التوراة بجد وحرص واجتهاد، قال الرازي :" أي باجتهاد في أداء الأمانة، وتشدد في القيام بالدعوة وترك إظهار الوهن والضعف" [٢]، وقال الشنقيطي: بقوة: أي بجد واجتهاد، وذلك بتفهم المعنى أولا حتى يفهمه على الوجه الصحيح، ثم يعمل به من جميع الجهات، فيعتقد عقائده ويحل حلاله ويحرم حرامه ويتأدب بآدابه ويتعظ بمواعظه، إلى غير ذلك من جهات العمل به [٣].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/٢٦٢)، ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣/٥٣٨)، تفسير البيضاوي (١/ ٨٥)، البحر المحيط لأبي حيان (١/٣٩٣) .

(٢) مفاتيح الغيب (١٦/١٦١) .

(٣) أضواء البيان (٣/٣٧٨) .

والأمر من الله سبحانه وتعالى ليحيي بأن يأخذ الكتاب بقوة لتطمئن نفسه، والمراد بالأخذ في الآية: إما الأخذ الحسي أو الأخذ من حيث المعنى، وهو القيام بما فيه كما ينبغي، وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة الإقدام على المأمور به، والإحجام عن المنهيّ عنه، ثم أكده بقوله: ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي بجدّ وعزيمة واجتهاد"[1].

ثانيا: الثبات على هذه التكاليف:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾[النحل: ٩٢] أي: بعد إحكام [2]، إنَّ حال تلك المرأة الحمقاء، التي تحكِم الغزل ثم تنقضه وتفسد ما كان نافعًا محكمًا من عملها وترجعه إلى عدم الصلاح، فيه نهي عن أن يكون حالهم كحالها في نقضهم عهد الله، وهو عهد الإيمان بالرجوع إلى الكفر وأعمال الجاهلية .ووجه الشبه الرجوع إلى فساد بعد التلبّس بصلاح[3]، الأصل في القوة الإيمانية أن تظل على وتيرة التصاعد في الدرجات، والثبات على تكاليف الدين، لأنَّ هذه العقيدة الإيمانية، متأصلة في القلب، وهي تعامل مع الله عز وجل، فلا يجوز الانتكاس عنها إلى مهاوي الردى، والتنكر لمعاني الإيمان وفضائل الرحمن، وللقوة الإيمانية مقومات نذكر بعضاً منها.

مقومات القوة الإيمانية:

أنه من لم يجاهد نفسه هيهات أن يجاهد العدو، ومن أهم العوامل التي تساعده في هذا:

١) **بناء الفرد على أساس العقيدة الصحيحة:** فيجب أن تكون عقيدة المسلم سليمة صحيحة متوافقة مع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن الله خلقنا لعبادته ،ولم يتركنا

---

(١)فتح القدير للشوكاني(٣/ ٣٢٥)، ينظر: القوة في القرآن دراسة موضوعية (ص ٥٥) .

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (١٩٧/٣) تفسير الجلالين (ص٣٥٩) .

(٣)التحرير والتنوير (٢٦٤/١٤) .

هملاً، وأن النصر من عن الله وما نبذله ما هو إلا أخذاً بالأسباب قال تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾ [الأنفال: ١٧].

٢) **مراقبة الله تعالى والخشية منه:** والتي تجعل منه رجلاً يخاف من الله ويخافه ويراقبه في السر والعلن قال الرازي رحمه الله: الخشية ملاك الخيرات، لأن من خشي الله أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر[١]، والتربية على هذا تقود الامة إلى النصر، أما من انغمس في المعصية والشهوات فهي السبب في جلب الهزيمة وضياع الطاقات [٢].

٣) **ذكر الله تعالى:** لأنه سلاح المؤمن الأمضى والأقوى الذي لا يغلب ولا يقهر أبداً، فيه تزول العقبات والصعاب، وبه نحظى بمعية الله تعالى، وبه نرزق الثبات أمام أعدائنا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] الذكر يعطي الذاكر قوة في الروح، وقوة في البدن كذلك، وفي الآية " عَلَّم الله تعالى المؤمنون إذا التقوا بالفئة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الأدب، الأول: الثبات وهو أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي. والثاني: أن يذكروا الله كثيراً"[٣]، فارتبط الذكر بالفلاح وهو قوة على قوة، في البدن والروح، وذكر القرطبي في قوله: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الأنفال ٤٥] ثلاثة أقوال للعلماء في هذا الذكر:

الأول: ٱذكروا الله عند جزع قلوبكم؛ فإن ذكره يُعين على الثبات في الشدائد.

الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم؛ فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان؛ فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب

---

(١)مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ٤٠)

(٢)القوة أنواعها ومقوماتها (ص ٧٠) .

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ٨ / ١٧٦، (بتصرف).

طالوت: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٠] وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس،

الثالث: "أذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ٱبتياعه أنفسكم ومُثامنته لكم" [(١)].

ومن الذكر المستحب عند ملاقاة العدو: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠]، نعم إنها القوة الإيمانية المنبثقة عن الإيمان بالله والعمل الصالح، التي إذا سكنت في خلجات النفس البشرية صنعت الأعاجيب، فيحقق الله بفضلها لأصحاب هذه النفوس المنعة والعزة والظفر على الأعداء في كل الميادين، فيملكون البلاد وتدين لهم العباد، ويصبحون سادة كراماً عادلين، وهذه هي سنة الله تعالى التي أودعها في هذا الكون، تسير الناموس الكوني فلا تحيد عن هذا المسار الذي رسمه الله تعالى قيد أنملة، قال تعالى: ﴿... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٤٠]، قال السعدي:"هذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها إذا كان بها براً، ويشمل أيضاً ما تعاقد عليه هو وغيره، كالعهود بين المتعاقدين وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع. القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها[(٢)] .

إن الحاجة ملحة في الثبات والاستقامة على تكاليف هذا الدين القويم، والتواصل مع معانيه المتجددة، فلا يستغني مسلم عنه في أي زمان ومكان، وفي عصرنا الحالي الذي تتلاطم فيه أمواج الفتن من كل جانب، ينبغي للمسلم أن يَعَضَّ على تعاليم دينه بكل صدق وإخلاص، ولا

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٢٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٤٨) .

ينظر إلى الذين تنكبوا الطريق وابتعدوا عن الصراط المستقيم، ووقعوا فيما حذر منه الرب الرقيب [1].

ثالثاً: أخذ هذه التكاليف بالكلية والشمولية:

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أي أنزل الله سبحانه التوراة مكتوبة في ألواح، فيها كل ما يحتاجون إليه بني إسرائيل في أمر دينهم ودنياهم، وفي جميع شؤون حياتهم، إذ إن الشريعة أمر أساسي في بناء حياة الأمة الاجتماعية والحضارية، وبقاء الأمة، واستمرار حضارتها مرهون بمدى تمسكها بالشريعة المنزلة عليها، قوله تعالى: ﴿ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾: أي "تبيينًا لكل شيء من الأمر والنهي، والحلال والحرام والحدود والأحكام [2].

وفي المنار: " أي: أننا أعطيناه ألواحاً كتبنا له فيها من كل نوع من أنواع الهداية موعظة من شأنها أن تؤثر في القلوب ترغيبا، وترهيبا وتفصيلا لكل نوع من أصول التشريع، وهي أصول العقائد والآداب، وأحكام الحلال والحرام وتفصيلها، ذكرها معدودة مفصولا بعضها من بعض " [3].

وهذا أمر الله سبحانه في بناء الحضارات وتنميتها كما وضح سبحانه في قوله تعالى: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾، أي بجد وحزم وعزم، فالمهمة التي كلفتم بها شاقة وكبيرة تحتاج إلى جد وعزم وحزم لتكون قوية وناهضة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾، إثبات لهذه القوة، " أي بعزائمها وواجباتها " [4]، وفي جامع البيان: "يعملوا بأحسن ما يجدون فيها " [5].

---

(١) القوة في القرآن دراسة موضوعية (ص ٤٩) .

(٢)معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٠٠) .

(٣) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٩ / ١٦٣).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣/٥٣٨)، تفسير البيضاوي (١/ ٨٥)، البحر المحيط لأبي حيان (١/٣٩٣) .

(٥)جامع البيان (٦ / ٥٨).

وانتهت الآية بالوعيد: ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾،"لأن ما قبلها كان أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة، فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرّط في العمل لله وحاد عن سبيله، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر " [1]، وقال الرازي: " أن المراد التهديد والوعيد على مخالفة أمر الله تعالى، وعلى هذا التقدير: فيه وجهان: الأول: دار الفاسقين هي جهنم، أي فليكن ذكر جهنم حاضراً في خاطركم لتحذروا أن تكونوا منهم، والثاني: سأدخلكم الشام وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متوطنين فيها من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها وما صاروا إليه من النكال، وقيل: ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي المساكن التي كانوا يمرون عليها إذا سافروا، من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله تعالى " [2].

(١)جامع البيان، (٦ / ٥٩) بتصرف يسير .

(٢)مفاتيح الغيب (٧ / ٢٤٨).

المطلب الثاني: القوة المادية (البدنية).

أولاً: قوة الإنسان المقترنة بالعلم والأمانة

من الآيات الدالة على قوته البدنية والعملية والعلمية، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[سبأ: ١٠]، فقد أيده الله سبحانه بمعجزة إلانة الحديد بين يديه يصنع به الدروع الحربية كأول صانع للدروع في حياة البشرية، وهي قوة. وفي تفسير ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ "كان لا يحتاج أن يدخله ناراً، ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ هي الدروع"[(١)].

وقد امتدحه الله بصفة القوة بقوله تعالى:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص: ١٧] فوضحت الآية إضافة القوة إلى نبي الله داوود عليه السلام بلفظ ﴿ ذَا الْأَيْدِ﴾، والأيد القوة في العلم والعمل" [(٢)].

فكل الأمثلة السابقة أدلة على العلاقة الوثيقة بين القوة البدن، و أهمية تنميتها في الفرد المسلم.

ثانياً: قوة الملائكة: الإيمان بالملائكة من الأمور الغيبية، ولا نعلم عن صفات الملائكة إلا ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، وقد تحدثت الآيات عن صفات بعض الملائكة، مثل الملاك جبريل عليه السلام الذي وصف بالقوة والأمانة، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[النجم: ٥] ملك شديد قواه، وهو جبريل عليه السلام، فإنه الواسطة في إبداء الخوارق، روي أنه قلع قرى

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٣٩) .

(٢) المصدر السابق (٧/٤٩) .

قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين[1] ، وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده، في أسرع من رجعة الطرف، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس:﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾[النجم: ٦]، وهذه صفة أخرى من صفات جبريل عليه السلام، والمِرَّة، بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة، تطلق على قوة الذات وتطلق على متانة وحصافة العقل وأصالته ورجاحته، وهو المراد هنا، لأنه قد تقدم قبله وصفه بشديد القوى، وتخصيص جبريل بهذا الوصف، يُشْعِر بأنه الملك الذي ينزل بفيوضات الحكمة على الرسل والأن [2].

ووصف الله جبريل –عليه السلام – بقوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٦٦] أي: قدرة على ما يكلف به لا يعجز ولا يضعف[3]، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[النجم: ٥] أي: ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام [4] ،جاء هذا في سياق المدح والثناء وتبليغ الرسالة.

ثالثاً: قوة الجن: قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: ٣٩]، والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر شهران ذهابا وشهران إياباً، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا التزم بالمجيء به على كبره وثقله، وبعده قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه، والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر، وهذا الملك العظيم الذي عند آحاد رعيته هذه القوة والقدرة[5].

---

(١) روح المعاني للألوسي (٤٧/٢٧) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٩٥)

(٣) ينظر: تفسير النسفي (٦٠٧/٣)، التفسير الوسيط (١٨٠٧/١٠) .

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٥٧/٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٢٦) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٦٠٥) .

ولهم أعمال أخرى تدل على قوتهم قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٢]أي وسخرنا له من الشياطين،﴿مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾، يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، ويعملون عملا دون ذلك، يعني دون الغوص، وهو ما ذكر الله عز وجل: ﴿ يعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾[سبأ: ١٣] الآية، وكنا لهم حافظين، حتى لا يخرجون عن أمره، وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا(١).

وقد يعتقد بعض البسطاء من الناس أن القوة المادية كفيلة بأن تدفع عن أصحابها كل مكروه، وتحسم لهم النصر والغلبة في الدنيا، لاسيما بعد أن توصل العقل البشري إلى أنواع من السلاح الفتاك، وسلاح الحماية والوقاية بما لا يدع مجالاً لخيال البشر أن يظن ظانٌّ بهزيمة من ملك هذه القوة والعدة المادية العظيمة، ولكن القرآن الكريم يقص علينا من أخبار الأمم السابقة ما يدحض هذه الأوهام، قال تعالى حكاية عن عاد، قوم هود عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[لأحقاف: ٢٦]، والخطاب لأهل مكة، ويقصد منه أن الله مكن عاداً من قوة الأبدان وطول الأعمار وكثرة الأموال وأعطيناهم من الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين، فقد كانوا أشد من أهل مكة بطشاً وقوة، وأكثر منهم عدداً، وأموالاً، وأولاداً، فما استعملوها إلا في طلب الدنيا ولذاتها، فلما أنزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيئاً(٢)، وقد وصف الله تعالى قوة عاد بالعظيمة التي لم يوجد لها مثيل بين الأمم في عصرهم، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[الفجر: ٦- ٨]

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٣٣٧) .

(٢) ينظر: لباب التأويل للخازن (٦/١٦٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٣٩٩) .

المبحث الرابع: آثار القوة على الفرد والمجتمع وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار القوة على الفرد

للقوة آثار تعود على الفرد لما يتحلى بالعلم والأمانة والإيمان سواءً في حياته الدنيوية أو الأخروية ومن الأمثلة التي ذكرها القرآن الكريم والدالة على أثر القوة والأمانة على الفرد:

- قصة موسى- عليه السلام- وسقيا الأغنام قال تعالى:﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، قولها كلام حكيم جامع؛ لأنه إذا اجتمعت الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك [١]، وهذان الوصفان ينبغي .توفرهما في كل من يقوم بعمل كالإجارة أو غيرها، فقد ذكرت ابنة شعيب لأبيها صفة القوة في موسى عليه السلام لما رأت منه عند البئر وسقي أغنامهما مالا يستطيع عشره فعله، وذكرت أن هذه القوة من الخيرة، قال الطبري: " تعني بقولها: استأجره ليرعى عليك ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته، فيما تأمنه عليه " [٢].

وقال البغوي: " يعني: خير من استعملت من قوي على العمل وأداء الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته ؟ قالت: أمّا قوته: فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة، وقيل إلا أربعون رجلا، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك" [٣].

وفي الآية بيان أن اقتران القوة بالعلم والأمانة، هو أمر ضروري من أجل أن تصبح القوة ذات فعالية وحيوية، فضبطها بالعلم والأمانة هو توجيهها في الطريق الصحيح حتى لا تصبح

---

(١) روح المعاني للألوسي (٢٠/٦٦) .

(٢) جامع البيان للطبري (١١ / ٦٣).

(٣) تفسير البغوي (٩٧٩) .

عبثية ومنفلتة من أي خلق ودين وإنسانية، فما أجمل أن نتوج القوة بتاجَيِّ العلم والأمانة، لأن هذين التاجين يكسبان القوة، قوة وبركة وفعالية، وهكذا تتواصل القوة بالقنوات الصحيحة والمغذية لها، حتى تصبح ملاذا لطلاب الإنصاف والعدالة.

❖ **ومن الأمثلة التي ذكرها القرآن الكريم في العلم والجسم:**

قصة طالوت: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٤٩]، ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ والبسطة: الزيادة في كل شيء، قال الكلبي: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ﴾ بالحرب ﴿وَالْجِسْمِ﴾ يعني: بالطول[١]، وقال الألوسي: وفي تقديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم، إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية، بل يكاد لا يكون بينهما نسبة، لا سيما ضخامة الجسم [٢]، فالعلم ملاك الإنسان، ورأس الفضائل، وأعظم وجوه الترجيح، وبسطة الجسم يظهر به الأثر في الحروب ونحوها، فكان قويا في دينه وبدنه وذلك هو المعتبر لا شرف النسب [٣].

(١) التفسير البسيط للواحدي (٣٢٢/٤) .

(٢) روح المعاني للألوسي (٢/ ١٦٧) .

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٦٤) .

المطلب الثاني: آثار القوة على المجتمع:

ذكر القرآن الكريم نموذجاً ظهر فيه أثر القوة على المجتمع وهو قصة بلقيس مع سليمان –عليه السلام – قال تعالى:﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾[النمل: ٣٢، ٣٣]، يتبين من خلال الآية الكريمة التي تحدثنا عن الرسالة التي وصلت إليها من نبي الله سليمان عليه السلام، وكيف أنها لم تنفرد بردها على تلك الرسالة، بل إنها جمعت كبار قومها واستشارتهم في كيفية الرد، فكان جوابهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد، وبالبأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك[١].

وتظهر أثر القوة كذلك لما أمر سليمان –عليه السلام– الرسل بقوله: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[النمل: ٣٧] فمعنى ﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالهم، ولما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، قالت: قد عرفت –والله–ما هذا بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، وقد أحضر عرشها ليريها قدرة الله عز وجل وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، فلما رأت حال العرش والصرح أسلمت، وأسلم قومها[٢]، فنخلص من هذا أن ثمرة القوة هو إسلام بلقيس مع قومها دون حرب أو قتال.

وهنا بعض آثار القوة التي تعود على المجتمع:

أولاً: ثقة الأمة بنفسها وشعورها بالعزة والكرامة: على الرغم من أن المسلمين يمرون بمرحلة عصيبة من مراحل تاريخهم المعاصر، وتكاد تغلب في هذه المرحلة عوامل اليأس ومشارع الإحباط، وهذا

---

(١) تفسير البغوي (٦/ ١٧٠) .

(٢) تفسير البغوي (٦/ ١٦٣) .

الشعور إذا استسلمت له الأنفس قتل فيهم الهمم، وخدر العزائم وذمر الطموحات، وعلى الرغم من كل ذلك إلا أنه لابد أن تظل شعلة الأمل في صدورنا بأن المستقبل لهذا الدين وأنه سيظهر على سائر الأديان ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة: ٣٣، الصف: ٩]﴾ قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق، وما خالفه من الأديان باطل[١].

وقد اقتضت إرادة الله تعالى أن يعلو دينه فوق كل دين، وأن تعلو شريعته فوق كل شريعة، فأرسل الرسل الكرام من لدن آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ بالدين الحق، وتكفل لهم بالنصر على العدو، وإظهار دينهم على ما سواه من شرائع البشر، والأمم تحمل دين الله من بعد أنبيائها لتكمل المسيرة في حمل الأمانة وتبليغ الرسالة، ويمضي المؤمنون وهم يحملون شرع الله تعالى بثقة وثبات بوعد الله لهم بالنصر والتمكين، فيعطي ذلك لهم قوة إيمانية تهون معها التضحيات، فيبذلوا الأرواح رخيصة فداءً لدين الله، فيتحقق لهم النصر والتمكين والظفر على العدو، فيعلو دين الله ويتحقق لهم وعد الله الحق بالنصر والتمكين، قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخل الله عليهم كلمة الإسلام، بعز عزيز، أو بذل ذليل)) [٢]، وكلما كانت الأمة قوية بإيمانها واثقة بنصر الله مستمسكة بدينها، كان النصر منها قريباً، ذلك أن هذا الإيمان يحملها على التضحية والفداء، والبذل والعطاء والنصرة لدين الله تعالى، وهذه هي العدة التي يُسْتَجْلب بها النصر، قال تعالى:﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾[الحج: ٤٠] وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

---

(١) تفسير البغوي (٤/٤٠) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٨١٤) (٣٩/٢٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٠١) (١٥/ ٩٣)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٥) (٢٠/ ٢٥٤)، وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٣٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٢)، (١/٢٠).

[الصافات: ١٧١-١٧٣].

ثانياً: حماية الدين والأمة وإرهاب الأعداء:

قال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾[الأنفال: ٦٠]، تُعدّ القوة سياجاً لا تستغني عنه الأمم، وهذا ما يصدقه التاريخ الماضي والحاضر، من هنا كان على الأمة الإسلامية كباقي الأمم، واقتباسا من تراثها الديني، وهدي خلفائها الراشدين أن تتمتع بالقوة لكي تحمي مكتسباتها وشعبها من أي سوء ومك ر على الصعيدين الداخلي والخارجي، فكلما كانت الأمّة قوية وذات هيبة، فإنها ترهب الأعداء من أن يغامروا ضدها، وتسكت أعداءها من الداخل ممن يتآمرون ويتربصون بها الدوائر فالأمة مطالبة بإعداد القوة الحربية للدفاع عن الدين وعن الوطن، وعن كل ما يجب الدفاع عنه، لأن أعداء الإسلام إذا ما علموا أن أتباعه أقوياء هابوهم، وخافوا بأسهم، ولم يجرؤوا على مهاجمتهم ...فيعيش أتباع هذا الدين آمنين مطمئنين في ديارهم، ويستطيعون أن يبلغوا رسالة الله إلى خلقه من الناس دون أن يخشوا أحدًا إلا الله عز وجل[١].

فالمسلمون إذن مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، لأن إظهار القوة يلقي الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمهم

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤١/٦)، القوة في القرآن ل رائد عاصي (ص ٨٣) .

المسلمون ؛ وآخرين ممن لا يعرفونهم، ولم يجهروا لهم بالعداوة، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام، ولو لم تمتد بالفعل إليهم[1] ، فالقصد من إعداد القوة هو إرهاب العدو، لأن مجرد الإعداد للقوة، هو أمر يسبب رهبًا للعدو؛ ولهذا تقام العروض العسكرية ليرى الخصم مدى قوة الدولة.

ثالثاً: الرحمة بالمؤمنين والغلظة على الكافرين:

قال تعالى:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح:٢٩]

إن من صلب ديننا الحنيف التراحم بين المؤمنين، والابتعاد عن الغلظة والجفاء فيما بينهم، من هنا كان على كل مسلم قوي، أن يكون رحيما بأخيه المسلم، كافا يده أن تناله بسوء، فقوته هي لحمايته، وحماية ضعفاء المسلمين والغلظة على أعدائهم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ..﴾[التحريم: ٩] فبهذا جاء الدين، وبهذا يأخذ المسلم أجره من الله عز وجل، فالمسلم له أعداء من الداخل والخارج يواجهونه بشتى الوسائل لفتنته عن دينه، فكانت الحاجة لأن يقف المسلم القوي سواء كان حاكما أو محكوما إلى جانب أخيه الضعيف ،ليظل مرحوما برحمة القوي ومتنعما بنعمة التمسك بالدين. قال الألوسي: إن المؤمنين فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين، ورحمة ورقة على إخوانهم المؤمنين، وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة، تكميل واحتراس، فمع كونهم أشداء على..[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾ [التوبة: ١٢٣]]، أي شدة وقوة وحمية [3].

ونحوه ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١٥٤٤/٣) .

(٢) روح المعاني للألوسي (١٢٣/٢٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٨/٨) .

لَائِمٍ..﴾[المائدة: ٥٤] هذه صفات المؤمنين الكمَّل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه [١].

فما أحوجنا في هذا الزمان إلى التخلق بمبادئ الإسلام، وبث روح الوحدة والتعاون بين أهله، وجعل خلق الرحمة هو المهيمن بين صفوف أتباعه. وخلق الرحمة أصبح من الأخلاق الضرورية التي ينبغي لأهل الإسلام أن يتخلقوا به في زمان طغت فيه الأنانية وحب الذات ، وانقلبت فيه الموازين وهجر الناس تطبيق الكثير من الأخلاق الإسلامية، فأصبحت لغة التخاطب والتعامل تتصف بالشدة والغلظة للأسف فيما بيننا، والذلة والرحمة في التعامل مع أعدائنا قال عطاء رحمه الله للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته[٢].

رابعاً: تأهيل المسلمين للنصر والتمكين: إن نصر الله تعالى لمن نصر دينه قال تعالى: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ...﴾[محمد: ٧]وقال تعالى: ﴿ ... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٤٠] أي: والله لينصر الله من ينصره، أي من ينصر دينه وأولياءه، والقوي: القادر على الشيء، والعزيز: الجليل الشريف، وقيل: الممتنع الذي لا يرام ولا يدافع ولا يمانع [٣].

خامساً: تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية: إن التشريع الإسلامي صالح لكل زمان ومكان، وفيه خير البلاد والعباد، وصلاحهم في العاجل والآجل، ويشمل مَجالات الحياة كافَّة على اختلافها وتنوُّعها؛ ويمتاز كذلك بمرونة المصادر لتناسب الحاجات المستجدة لكل عصر وزمان،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٧١).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٣٧٠) .

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/٥٤١) .

ويحقق العدل والمساواة بين أفراده فلا فرق بين حاكم ومحكوم فالجميع سواسية أما الشرع [1].

(١) ينظر: القوة أنواعها ومقوماتها ل خالد الحواجري (ص ١١٨)، الإعجاز التشريعي في الإسلام لمحمد عبد الرحمن المرعشلي (ص ٢٠).

المبحث الثاني

نموذج لدراسة آية الحيض، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المسألة الأولى: المراد بالمحيض في الآية.

المسألة الثانية: حكم الاستمتاع بالحائض.

المسألة الثالثة: حكم وطء الحائض بعد الطهر وقبل الاغتسال.

نموذج لتفسير السورة القرآنية تفسيراً موضوعياً (سورة السجدة) [1]:

التمهيد: بين يدي السورة.

التبويب والترتيب والتقسيم لآيات السورة كالآتي:

بين يدي السورة:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: فضائلها.

ثالثاً: مكية السورة أو مدنيتها.

رابعاً: عدد آياتها.

خامساً: مقاصد السورة.

سابعاً: المناسبات في السورة، وفيه:

أ/ المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

ب/ المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها.

(١) ينظر: تفسير سورة السجدة تفسيراً موضوعياً للباحث وهيب الثبيتي.

المطلب الأول: اسم السورة:

١) **سميت هذه السورة الكريمة بسورة السجدة** وهو أشهر اسم لها، ويعد أخصر أسماء هذه السورة، وهو المرسوم في المصاحف، والمذكور في كتب التفسير[١]، وقد بوب لهذا الاسم الترمذي في جامعه[٢]، وعنون له الإمام النسائي في سننه الكبرى بسورة السجدة كذلك[٣]، وذكره الحاكم في مستدركه على الصحيحين في كتاب التفسير فقال: تفسير سورة السجدة[٤].

٢) **وتسمى سورة ﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾**

سميت بذلك تسمية لها بمطلعها..فعن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾و﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يقرأ في الصبح يوم الجمعةب﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾ في الركعة الأولى، وفي الثانية: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) ﴾ [٦].

وقد جاءت تسميتها ب﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾ في بعض الآثار عن ابن عباس، وأبي هريرة، وابن

---

(١)ينظر: التحرير والتنوير (٢٠١/٢١) .

(٢)ينظر: جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة السجدة(٣٤٦/٥).

(٣) ينظر: السنن الكبرى للنسائي(٢١٣/١٠).

(٤) ينظر: المستدرك (٤٤٦/٢).

(٥)أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب فضائل القران(٥ / ١٦٥).

(٦)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة (٥٩٩/٢)حديث رقم (٨٨٠).

عمر[1].

وعنون لها البخاري في صحيحه بسورة (تنزيل السجدة)[2].

وجاءت تسميتها في بعض المصاحف المخطوطة بـ (سورة التنزيل)[3].

وكل ذلك تسمية لها بمفتتحها على سبيل الاختصار أو التفصيل.

(1)ينظر: أسماء السور، د. منيرة الدوسري(٣١٩).

(2) صحيح البخاري، كتاب التفسير(٦/٣١٩).

(3)ينظر: أسماء السور، د. منيرة الدوسري(٣١١).

المطلب الثاني: فضائل السورة:

ورد في فضائل هذه السورة الكريمة أحاديث كثيرة، تدل على فضلها، وتنوه بشرفها، وحسن تدبرها، منها:

١) عن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾ و ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [١].

٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يقرأ في الصبح يوم الجمعةب﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾ في الركعة الأولى، وفي الثانية: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) ﴾ [٢].

٣) **ومن فضائلها أنها تسمى المنجية.** فعن خالد بن معدان، قال: (اقرؤوا المنجية، وهي ألم تنزيل فإنه بلغني أن رجلًا كان يقرؤها ما يقرأ شيئًا غيرها، وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه، وقالت: رب اغفر له فإنه كان يكثر من قراءتي، فشفعها الرب فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة) [٣].

وعن المسيب بن رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تجيء ﴿الم (١) تَنْزِيلُ﴾ السجدة

([١])أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب فضائل القرآن(١٦٥/٥).

([٢])أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة (٥٩٩/٢) حديث رقم(٨٨٠).

([٣])أخرجه الدارمي (٥٤٦/٢) رقم (٣٤٠٨)، وفيه انقطاع ويتقوى بما بعده .

يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها، تقول: لا سبيل عليك لا سبيل عليك) [1].

(1) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص (٢٥١)، وابن الضريس ص (١٠٠) وهو مرسل إسناده حسن .

المطلب الثالث: مكية السورة أو مدنيتها

سورة السجدة من السور التي نزلت بمكة، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: " وسورة ألم السجدة نزلت بمكة وهي مكية "[1]، ومعنى هذا أن السورة نزلت قبل الهجرة وأن نزولها كان بمكة، وقد قيل إن سورة السجدة من أواخر السور المكية نزولاً ؛ أي أنها نزلت في المرحلة النهائية من العهد المكي[2]، وقيل إن نزولها كان بعد الإسراء وقبيل الهجرة[3]، وقد قيل إن نزول سورة السجدة كان بعد سورة النحل وقبل سورة نوح[4]، وقيل إنها بعد سورة المؤمنون، وقبل سورة الطور[5]، وقيل أيضاً إنها بعد سورة الشورى وقبل الأنبياء[6].

(1) الناسخ والمنسوخ للنحاس(ص ٦١٩)، قال السيوطي : إسناده جيد .ينظر: الإتقان(١/٤٠) .

(2) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي(١١/١٣٩)،ومباحث في علوم القرآن صبحي لصالح ص (١٨٥) بتصرف .

(3)ينظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور(٧/٥٥) .

(4)البيان في عدّ آي القرآن ص (١٣٦).

(5)ينظر: البرهان للزركشي(١/١٩٣).

(6)ينظر: الإتقان(١/٩٧) .

المطلب الرابع: عدد آياتها

أما ما يتعلق بعدد آيات سورة السجدة فالمشهور من أقوال أكثر المفسرين أنّ عدد آياتها ثلاثون آية، وقال بعضهم إن عدد آيات هذه السورة تسع وعشرون آية، وهذا الخلاف بين المفسرين مبني على الخلاف في المصاحف ففي المصحف البصري تسع وعشرون آية، وفي بقية المصاحف الكوفية والشامية والحجازية ثلاثون آية، قال أبو عمرو الداني – في سورة السجدة – " وهب عشرون وتسع آيات في البصري، وثلاثون اية في عدد الباقين"[1]، وقال أبو الحسن علي بن محمد السخاوي: "في سورة السجدة ثلاثون اية في جميع العدد إلا البصري فإنها فيه تسع وعشرون"[2].

(1)البيان في عدّ آي القرآن ص (٢٠٧).

(2) جمال القراء وكمال الإقراء (٣٠٠-٣٠١) .

المطلب الخامس: مقاصد السورة:

من المعلوم أن كل سورة لها مقاصد وأهداف تهدف إليها، وسورة السجدة من بين السور التي لها مقاصد شريفه وأهداف نبيلة تهدق إليها.

ومقاصد السورة: هي الموضوعات التي تدور عليها آيات السورة، والغرض من ذكر مقاصد السور هو الاهتداء بهدي هذا الكتاب العزيز، وحث الناس على امتثال أوامر ما جاء في هذا الكتاب واجتناب نواهيه.

ومن خلال معرفة مقاصد السورة فإنه من السهل التوصل إلى الموضوع الكلي للسورة.

أما مقاصد سورة السجدة فقد تكلم عدد من العلماء في مقاصدها:

فقد قال الفيروز آبادي: "مقصود السورة: تنزيل القرآن، وإنذار سيد الرسل، وتخليق السماء والأرض، وخلق الخلائق، وتخصيص الإنسان من بينهم، وتسليط ملك الموت على قبض الأرواح، وتشوير العاصين فى القيامة، وملء جهنم من أهل الإنكار، والضلالة، وإسقاط خواص العباد فى أجواف الليالي للعبادة، وإخبارهم بما ادخر لهم فى العقبى: من أنواع الكرامة، والتفريق بين الفاسقين والصادقين في الجزاء، والثواب، فى يوم المآب، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم بتقرير أحوال الأنبياء الماضين، وتقرير حجة المنكرين للوحدانية، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مكافأة أهل الكفر، وأمره بانتظار النصر، بقوله: ﴿فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون﴾ "[1].

وذكر ابن عاشور جملة من مقاصد هذه السورة فقال: من أغراض هذه السورة أولها التنويه بالقرآن أنه منزل من عند الله، وتوبيخ المشركين على ادعائهم أنه مفترى بأنهم لم يسبق لهم التشرف بنزول كتاب. والاستدلال على إبطال إلهية أصنامهم بإثبات انفراد الله بأنه خالق السماوات

([1])بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٣٧٣).

والأرض ومدبر أمورهما. وذكر البعث والاستدلال على كيفية بدء خلق الإنسان ونسله، وتنظيره بإحياء الأرض، وأدمج في ذلك أن إحياء الأرض نعمة عليهم كفروا بمسديها. والانحاء على الذين أنكروه ووعيدهم. والثناء على المصدقين بآيات الله ووعدهم، ومقابلة إيمانهم بكفر المشركين، ثم إثبات رسالة رسول عظيم قبل محمد صلى الله عليه وسلم هدى به أمة عظيمة. والتذكير بما حل بالمكذبين السابقين ليكون ذلك عظة للحاضرين، وتهديدهم بالنصر الحاصل للمؤمنين. وختم ذلك بانتظار النصر. وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم تحقيرا لهم، ووعده بانتظار نصره عليهم"[1].

كما ذكر محمد عزة دروزة جملة من مقاصد وأهداف السورة فقال: "في السورة توكيد بصلة القرآن بالوحي الإلهي وردّ على الكفار على نسبتهم افتراءه للنبي عليه السلام. وتنويه بقدرة الله في مشاهد الكون ونواميس الخلق للبرهنة على استحقاقه وحده للعبادة والخضوع. وحكاية لشكوك الكفار بالبعث والحساب وحملة عليهم ومقايسة بين مصيرهم ومصير المؤمنين. وإشارة إلى رسالة موسى وفضل الله على بني إسرائيل حينما صبروا واتبعوا آيات الله. وتثبيت وتطمين للنبي عليه السلام"[2].

([1])التحرير والتنوير (٢١/ ٢٠٤) .

([2]) التفسير الحديث (٥/ ٣٤٠).

المطلب السادس: المناسبات في السورة:

أولاً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

تقرير الحق في شأن القرآن بأنه تنزيل رب العالمين في افتتاح السورة، وتقرير الحق في شأن البعث بأنه واقع وأنه ممكن في خاتمة السورة من خلال المثال في احياء الأرض بعد موتها.

ثانياً: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمة ما قبلها:

قال السيوطي في وجه اتصالها بخاتمة السورة التي قبلها.. سورة لقمان: إنها شرحت مفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة لقمان:

- فقوله هنا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] شرح لقوله هناك ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤]، ولذلك عقب قوله هنا﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ .

- وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧]، شرح لقوله تعالى {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) [لقمان: ٣٤].

- وقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧] شرح لقوله ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤].

- وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥] و ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة: ١٣] شرح لقوله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان: ٣٤].

- وقوله: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]،إلى قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾

شرح لقوله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤] فلله الحمد على ما ألهم".

وجعل الآلوسي المناسبة بين السورتين: (اشتمال الكل على دلائل التوحيد) [١].

(١) روح المعاني (١١٥/٢٢).

المبحث الأول: القرآن حق ومنزل من عند الله ويشمل الآيتين: (١، ٢).

موضوع هذا المبحث هو عنوان مقدمة سورة السجدة، ويشمل الآيتين الأوليين من السورة

﴿الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾[السجدة:١-٢] .

الآيتان الأوليان براعة أو مقدمة استهلالية للآية الثالثة كما هو المتبادر[١]، فقدت تضمنت هاتان الآيتان إعجاز القرآن، وأنه حق من رب العالمين، لأنها افتتحت بالحروف المقطعة التي تظهر إعجاز القرآن، في افتتاح السورة بالحروف المقطعة إظهار لإعجاز القرآن ولصدق محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأَّنه وإن كان – محمد صلى الله عليه وسلم، وحاشاه– قد اختلق القرن من تلقاء نفسه فليأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسوره مثله، فلما عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنه معجزة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عن الله تعالى[٢]، وفي هذا دلالة على أن هذا الكلام ليس كلام بشر إنما هو تنزيل من رب العالمين.

وقد صدرت هذه السورة بهذه الأحرف التي يعرفها العرب المخاطبون بهذا الكتاب ويعرفون ما يملكون أن يصوغوا منها ومن نظائرها من كلام، ويدركون الفارق الهائل بين ما يملكون أن يصوغوه منها وبين هذا القرآن وهو فارق يدركه كل خبير بالقول، وكل من يمارس التعبير باللفظ عن المعاني والأفكار. كما يدرك أن في النصوص القرآنية قوة خفية، وعنصرا مستكنا، يجعل لها سلطانا وإيقاعا في القلب والحس ليسا لسائر القول المؤلف من أحرف اللغة، مما يقوله البشر في جميع الاعصار. وهي ظاهرة ملحوظة لا سبيل إلى الجدال فيها، لأن السامع يدركها، ويميزها، ويهتز لها، من بين سائر القول، ولو لم يعلم سلفا أن هذا القرآن! والتجارب الكثيرة تؤكد هذه الظاهرة في شتى أوساط

([١])ينظر: التفسير الحديث، محمد عزه دروزه: (هـ/٣٤٠).

([٢])ينظر: ينظر: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: (١/ ١٣٧).

الناس.

والفارق بين القرآن وما يصوغه البشر من هذه الحروف من كلام، هو كالفارق بين صنعة الله وصنعة البشر في سائر الأشياء[1].

وجاءت الآية الثانية لتذكر أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لا شك فيه أَنَّه من عند الله وليس بشعر ولا سجع كاهن ولا هو مما تخرصه محمد صلى الله عليه وسلم[2]، وهذا واضح في أن القرآن حق منزل من رب العالمين، وهذه المقدمة لها علاقة بجميع موضوعات السور كما تقدم.

وافتتاح السورة بهذا المطلع له ارتباط كذلك بالموضوع الكلي للسورة؛ فإثبات حقَّية القرآن وكونه منزلاً من عند الله هو سبب معين وطريق موصل إلى نفي الشك عما ثبت في هذا الكتاب العزيز من أصول الدين وفروعه، ومن جملة أصول الدين التي ثبتت في كتاب الله تعالى صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة التوحيد ووقع البعث وحصول الجزاء.

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٠٤).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: (٢٠/١٦٤).

المبحث الثاني: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة – التوحيد – البعث والجزاء)، ويشمل الآيات: (٣، ١١):

في هذا المبحث أول موضوعات السورة وهو إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة – التوحيد – البعث والجزاء)، وجاء هذا المبحث من قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) ﴾، والمناسبة بين موضوع السورة الكلي وهذا المبحث ظاهرة فإنه لما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء من أصول الدين التي يستحيل أن يطرأ عليها الشك والريب؛ لأنها ثابتة في كتابه العزيز، فقد نفى الله الريب عن كتابه في كونه منزلاً من عنده، وإذا كان كذلك فهو دليل على أنه حق لا مرية فيه، وبالتالي فما ثبت فيه من أصول الدين كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء حق أيضاً لا شك فيه.

المطلب الأول: إثبات صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)﴾ [السجدة:٣] .

هذا هو أول محور للموضوع الأول في السورة، فقد بينت الآية صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ليأتي بهذا القرآن من من عند نفسه ولا يستطيع، ولو استطاع لاستطعتم مثله، وإنما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم لينذر به قومه والناس من بعدهم حيث لم يأتهم نذير قبله، والغرض والغاية هداية الناس، فمن آمن به كان له حسن الحال والمآل، ومن أعرض عنه وكفر به كانت له النار.

يقول ابن عاشور – رحمه الله –: "وقد جاءت هذه الآية على أسلوب بديع الإحكام إذ ثبت أن الكتاب تنزيل من رب جميع الكائنات، وأنه يحق أن لا يرتاب فيه مرتاب، ثم انتقل إلى الإنكار والتعجيب من الذين جزموا بأن الجائي به مفتر على الله، ثم رد عليهم بإثبات أنه الحق الكامل من رب الذي نسبوا إليه افتراءه فلو كان افتراه لقدر الله على إظهار أمره كما قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٤– ٤٧]. ثم جاء بما هو أنكى للمكذبين وأبلغ في تسفيه أحلامهم وأوغل في النداء على إهمالهم النظر في دقائق المعاني"[1].

فقد أثبتت الآية الكريمة صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه لم يكن ليختلق هذا القرآن، وإنما هو رسول رب العالمين لينذر قومه والناس من بعدهم لعلهم يرجعون إلى الحق المبين.

([1])التحرير والتنوير (٢١/ ٢٠٨)، وانظر : تفسير السعدي (ص: ٦٥٣).

المطلب الثاني: إثبات التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان

في قوله تعالى: ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩) ﴾[السجدة:٤ -٩] .

هذه الآيات أثبتت أصلاً من أصول الاعتقاد وهو التوحيد فقد برهنت على إثبات التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان، وفي تدبير امور هذا الكون الفسيح، وفي تفضله تعالى على عباده بالآلاء والنعم.

فهي تدور حول إثبات التوحيد، فقد بينت أدلة التوحيد في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان، فذكرت أولاً برهان التوحيد في كمال قدرته في إيجاد السماوات والأرض على غير مثال سابق وفي عظمته في استوائه على العرش استواء يليق بجلاله وعظيم سلطانه وفي حكمته في تدبير أمور خلقه وفي علمه بجميع ما يحدث في هذا الكون سواء كان مشاهداً بالأبصار أم هو غائب عنها، ثم بينت الآيات بعد ذلك الدليل الآخر من أدلة التوحيد وهو قدرته سبحانه على خلق أدم من طين وخلق ذريته من ماء مهين وتفضله على بني آدم بنعمة السمع والبصر والعقل، وكل هذه الآيات الغرض من ذكرها إفراد العبد ربه بالعبادة وإخلاص الدين له حتى يكون التوحيد راسخاً في

قلبه، فيصير سلوكه ومنهجه متوافقاً مع الغرض الذي خلق من أجله وهو عبادة الله وحده لا شريك له[1].

المناسبة ظاهرة بين ما تقدم من ذكر الرسالة والإنذار وذكر الخلق هنا وهي أن يقال: لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل[2].

(1)ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٥٣) بتصرف، والتفسير المنير للزحيلي (٢١/١٨٩- ١٩١)بتصرف .

(2)ينظر: تفسير الرازي (٢٥/ ١٣٦).

المطلب الثالث: إثبات عقيدة البعث والجزاء ومصير المنكرين له

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) ﴾

بعد بيان الرسالة وبرهانها في قوله تعالى: ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾، وبيان الوحدانية ودليلها في قوله تعالى: ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض ﴾أخبر الله تعالى عن البعث وطريق إثباته للرد على المشركين المنكرين لها، وهذا على عادة القرآن كلما ذكر أصلين من أصول الاعتقاد ذكر الأصل الثالث، وهو هنا الحشر[1].

ففي هذه الآيات الكريمات إثبات عقيدة البعث والجزاء، فقد برهنت الآيات على ذلك بالرد على شبهة المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا: أنذا صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض انبعث خلقًا جديدًا؟ فبيّن سبحانه ان هؤلاء المشركين بلقاء ربهم كافرون، لأنهم أنكروا قدرة الله على اعادتهم، ثم رد الله عليهم مقالتهم وشديد استنكارهم بأم ملك الموت الذي وكّل بقبض أرواحكم سيستوفي العدد الذي كتب عليه الموت منكم حين انتهاء اجله، ثم تردون الى ربكم يوم القيامة

([1])ينظر: تفسير الرازي (٢٥/ ١٤٢) بتصرف.

احياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازى المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، وفي هذا اثبات للبعث مع تهديدهم وتخويفهم، وإشارة إلى أن القادر على الأمانة قادر على الاحياء، ثم دللت الآيات بعد ذلك لإثبات حقيقة البعث بذكرها لحال المنكرين للبعث يوم القيامة عند معاينة العذاب وقد طؤطئت رؤوسهم من الذل والهوان يطلبون الرجعة للدنيا لعمل الصالح من الأعمال فقد شاهدوا البعث وسمعوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقوا به، لكن الرجوع إلى الدنيا محال، ولو ردوا لعادوا إلى كفرهم وعنادهم، ثم ذكرت الآيات بعد ذلك جزاء المنكرين للبعث بملء جهنم من الكفرة، وبالترك والخلود في العذاب الأليم [1]، وفي هذا دلالة على أن حقيقة البعث حقيقة ثابتة لا شك فيها، إذا ما ذكر من الرد على شبهة المشركين في المعاد وتهديدهم يقبض أرواحهم من قبل ملك الموت وذكر سوء موقفهم يوم القيامة وشدة ما يلاقونه من العذاب في نار جهنم كل هذا لإثبات حقيقة البعث وحضّ الناس على الإيمان بهذه الحقيقة وأخذ العظة والعبرة بمن كذب بهذه الحقيقة العظيمة.

فالآيات في هذا المطلب قد أثبتت أصلاً من أصول الاعتقاد وهو حقيقة البعث والجزاء، ودللت على ذلك بالرد على شبهة المشركين لإنكار البعث، وتهديدهم يقبض أرواحهم من قبل ملك الموت، ويذكر سوء موقفهم يوم القيامة يوم القيامة عند ربهم وشدة العذاب الذي ينتظرهم في نار جهنم.

([1])ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣٢٢/٦) بتصرف، وتفسير المراغي(١٠٧/٢١ – ١١٠) بتصرف، وتفسير السعدي(٦٥٤) بتصرف .

المبحث الثالث: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم وجزاء الفريقين، ويشمل الآيات: (١٢، ٢٢):

المطلب الأول: صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم وجزاؤهم

هذا هو المحور الأول للموضوع الثاني في السورة، ويشمل الآيات التالية: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

إن صفات المؤمنين بآيات القرآن الكريم المذكورة في هذه الآيات وحسن ثوابهم هو بيان لموقف المؤمنين من آيات القرآن الكريم وذكر جزائهم.

فقد ذكرت هذه الآيات صفات المؤمنين بآيات الكتاب العزيز، وبينت أنهم إذا وعظوا بآيات القرآن الكريم خروا لله سجدا تذللا واستكانة لعظمته وإقرارا بعبوديته، ونزهوه في سجودهم عما لا يليق به مما يصفه به أهل الكفر من الصاحبة ة والولد والشريك، يفعلون ذلك وهم لا يستكبرون عن طاعته، ومن صفات المؤمنين التي نبهت عليها الآيات بعد ذلك تنحيهم عن مضاجعهم التي يضطجعون فيها لمنامهم فلا ينامون داعين ربهم خوفا من سخطه وعذابه، وطمعا في عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته، ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر، ويؤدون حقوقه التي أوجبها عليهم فيه، كما ذكرت الآيات بعد ذلك حسن جزاء المؤمنين بآيات القرآن الكريم فلا يعلم أحد عظيم ما أخفى الله لهم من النعيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد جزاء بما كانوا يعملون من صالح الأعمال، أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم[1].

([1])ينظر: تفسير الطبري (٢٠ / ١٧٧ – ١٨٢)، بتصرف، وتفسير المراغي(٢١/١١١ – ١١٣)بتصرف .

المطلب الثاني: المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم ومآل الفريقين

هذا هو المحور الثاني في السورة، ويشمل الآيات التالية: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٢) ﴾ [السجدة: ١٩، ٢٢].

عقدت هذه الآيات مقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن الكريم، ففي مطلع هذه الآيات بينت أنهم لا يستوون عند الله؛ لأن الكافر كذب بوعد الله ووعيده، وخالف أمر الله ونهيه، والمؤمن صدق بوعد الله ووعيده فهو مطيع لربه، وقد قارنت الآيات كذلك بين المؤمنين والكافرين في ذكر جزائهم، فذكرت أن جزاء المؤمنين مساكن فيها البساتين والدور والغرف العالية جزاء لهم على أعمالهم وطيب أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأما جزاء الكافرين فمأواهم النار التي يأوون إليها ويستقرون فيها كلما شارفوا الخروج منها وظنوا أنهم قد تيسر لهم ذلك أعيدوا في غمراتها ودفعوا إلى قعرها، ويقال لهم على طريق التقريع والتوبيخ ذوقوا عذابها الذي كنتم به في الدنيا من أن الله قد أعد النار لأهل الشرك به، كما ذكرت الآيات بعد ذلك جزاء أهل الكفر في الدنيا

بأن يذيقهم شيئا من العذاب الأقرب والأقل وهو عذاب الدنيا من المصائب والآفات كالجوع والقتل والسبي قبل مجيء وحدوث العذاب الأشد والأعظم وهو عذاب القيامة؛ ليرجعوا عن ضلالهم إلى الهدى والرشد ويثوبوا عن الكفر ويؤمنوا بربهم ويصدقوا رسولهم، ثم ختمت الآيات بذكر خصلة سيئة من صفات الكافرين وهي الإعراض عن كتاب الله وآياته، فهؤلاء المعرضون عن هدي الله وشرعه من أكبر الذين يستحقون شديد النقمة في الدنيا والآخرة[1] .

إذا هذه المقارنة بين المؤمنين والكافرين في الإيمان بآيات القرآن، وكذا في ذكر جزاء الفريقين.

هذه المقارنة في الإيمان بآيات القرآن الكريم وفي مآل الفريقين هو ذكر لموقف الفريقين من آيات الكتاب العزيز وبيان لجزائهم.

(1)ينظر: تفسير الطبري (٢٠ / ١٨٧ – ١٩٣)، بتصرف، وتفسير المراغي(٢١/١١٤ – ١١٦) بتصرف، بتصرف، وتفسير السعدي(ص ٢٥٠) بتصرف، والتفسير المنير(٢١/٢١١ – ٢١٣) بتصرف.

المبحث الرابع: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة – التوحيد – البعث والجزاء)، ويشمل الآيات: (٢٣، ٣٠)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم

هذا المحور الأول للموضوع الثالث في السورة، ويشمل الآيات التالية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)﴾[السجدة: ٢٣ – ٢٥].

أكدت هذه الآيات رسالة محمد عليه الصلاة والسلام بالتذكير برسالة موسى عليه السلام، وأن الله تعالى أنزل عليه التوراة، فلا تكن يا محمد في شك من تلقي القرآن كما تلقى موسى التوراة، والمقصود تقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتحقيق أن ما معه من الكتاب وحي سماوي وكتاب إلهي[١].

كما أكدت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام بالإشارة إلى جعل موسى والكتاب الذي أنزل عليه هدى لبني إسرائيل، فكما أن موسى عليه السلام والكتاب الذي أنزل عليه جعلهما الله هداية لبني إسرائيل، فكذلك أنت يا محمد – صلى الله عليه وسلم – جعلناك وجعلنا القرآن الذي أنزل عليك هدى لقومك ولأمتك[٢].

ومن البراهين التي أكدت وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الإشارة إلى جعل أئمة

---

(١)ينظر: مفاتيح الغيب (٢٥/ ١٥١)، وصفوة التفاسير(٢/٤٦٥) بتصرف .

(٢) انظر : الكشاف (٣/٥١٦) بتصرف .

الخير والصلاح من بني إسرائيل يهدون الناس إلى طريق الحق بأمر الله وتوفيقه بسبب ما بدا من هؤلاء الأئمة من الصبر والإيقان بآيات الله، وهذا كله ناتج من هداية موسى عليه السلام وهداية التوراة، فكما جعل الله تعالى من بني إسرائيل أئمة يهدون الناس إلى طريق الحق بأمر الله؛ لما سيكرمهم الله من التحلي بالصبر واليقين بآيات الله،[1] وهذه الخصلة لابد وان تكون ناتجة عن هداية القرآن وهداية محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا إشارة على تأكيد الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي أنكرها المشركون في العهد المكي واليهود في العهد المدني، والمقصود بالآية حمل اليهود على الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وتحريض المشركين وغيرهم على التصديق بتلك الرسالة، فإن التشابه بين الرسالتين قائم والمهمة واحدة[2].

أخيرا جاء التأكيد على وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بذكر حكم الله وقضائه بين المؤمنين والكافرين المنكرين بالرسالة، وأنه سبحانه يقضي بحكمه العدل فيجازى كلا على عمله ويعطيه ما يستحق من ثواب أو عقاب[3].

وبناء على هذا فيجب الإيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام التي أرسلها الله إلى الناس كافة، والتي جعلها الله ناسخة لجميع الشرائع وصالحة لكل زمان ومكان.

([1])ينظر: الكشاف (٣/٥١٦) بتصرف .

([2])ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة:(٢١/٢١٧).

([3])ينظر: التفسير الواضح لمحمد حجازي (٣/٧٠) بتصرف .

المطلب الثاني: التأكيد على وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد

هذا هو المحور الثاني للموضوع الثالث في السورة، ويشمل الآيات التالية: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) ﴾ [السجدة: ٢٦].

أكدت الآية الكريمة وجوب الإيمان بحقيقة التوحيد وذلك بالإخبار عن قدرة الله في إهلاك الأمم الماضية بسبب إصرارهم على الشرك بالله وتكذيب الرسل، فكما أنه تعالى بقدرته أهلك القرون المنصرمة فهو قادر على إهلاككم إن أشركتم بالله وكذبتم برسله[1]، فدلت الآية على كمال قدرة الله تعالى، ومن كان يملك القدرة التامة على كل شيء فهو المستحق أن يفرد بالعبادة وحده دون سواه.

والتناسق بين موضوع هذا المطلب وموضوع المطلب السابق أن يقال: بعد أن أعاد سبحانه وتعالى ذكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليؤكدها بقوله تعالى هنا ﴿ آية ﴾ ناسب أن يعيد هنا ذكر التوحيد ليؤكده مع ذكر البرهان عليه بما يرونه من المشاهدات التي يبصرونها[2].

فقد أكدت هذه الآية الكريمة أصلا من أصول الاعتقاد وهو التوحيد وأوجبت إفراد الله بالعبادة بذكر قدرة الله على إهلاك الأمم السابقة التي كذبت رسلها وكفرت بالله، فمن كان يقدر على ذلك جدير أن تصرف له العبادة وحده دون سواه.

([1])ينظر: تفسير الطبري(١٩٦/٢٠) بتصرف، وأيسر التفاسير(٢٣٨/٤) بتصرف.

([2])ينظر: تفسير الرازي(١٥١/٢٥) بتصرف، وتفسير المراغي (١١٨/٢١).

المطلب الثالث: التأكيد على وجوب الإيمان بحقيقة البعث والجزاء:

هذا هو المحور الثالث للموضوع الثالث في السورة، ويشمل الآيات التالية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (٣٠) ﴾ [السجدة: ٢٧ – ٣٠].

أكدت الآية الأولى الإيمان بوقوع البعث والجزاء بذكر قدرة الله على إرسال الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، ومن ثم إخراج الزرع الأخضر الذي تأكل منه مواشيهم وتغذى بهم أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به، وفي إخراج الزرع الأخضر من الأرض اليابسة الغليظة بالماء الذي ينزله الله من السماء دليل على قدرة الله على إحياء الموتى ونشرهم من قبورهم وإعادتهم بهيئاتهم التي كانوا عليها قبل وفاتهم[1].

كما أكدت الثلاثة آيات الأخيرة الإيمان بوقوع البعث وحصول الجزاء، وذلك بالرد على المشركين الذين استبعدوا مجيء يوم القيامة يوم الفصل بين العباد، وهو يوم البعث الذي يقضي فيه سبحانه وتعالى بين العباد، وهذا الرد على المشركين جاء بأمر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم رد تبكيت وتوبيخ، ويخبرهم بأن يوم القيامة هو يوم الفتح الحقيقي الذي يفصل فيه سبحانه وتعالى بيننا وبينكم، ولا ينفع فيه الإيمان ولا الاعتذار ولا الإعادة للدنيا للتوبة والإيمان، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن سفههم وتكذيبهم بحقيقة البعث والجزاء، وانتظار يوم القيامة

([1])ينظر: تفسير الطبري(١٩٦/٢٠) بتصرف، وأيسر التفاسير(٢٣٨/٤) بتصرف.

يوم البعث والجزاء حين ينزل بالمشركين سوء العذاب بما كانوا يكسبون[1].

والمناسبة مع ما تقدم من مواضيع السورة أن يقال: بعد أن أكد الله سبحانه وتعالى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والتوحيد في الآيات السابقة عطف على ذلك ذكر الحشر ليؤكده بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ﴾إلى آخر السورة[2].

والمناسبة بين موضوع المطلب والمبحث أن يقال: قد أكدت هذه الآيات حقيقة البعث بذكر قدرة الله تعالى وتفضله على عباده بإنزال المطر من السماء، وإنبات الزرع والثمر ليستفيد منه الإنسان والحيوان، فقدرته سبحانه وتعالى على إخراج النبات من الأرض دليل على كمال قدرته على إخراج الموتى من قبورهم للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) ﴾ [الأعراف: ٥٧].

كما أكدت الآيات الثلاث الأخيرة حقيقة البعث والجزاء بالرد على منكري البعث بالإنذار والتهديد، وبالإعراض عنهم، وانتظار العذاب الذي سيحل بهم.

وبعد ذكر موضوعات السورة بمحاورها، وعلمنا التناسق بين هذه الموضوعات وبين محاور كل موضوع نجد بعد ذلك أن ما ذكر هو طريق موصل للموضوع الكلي في السورة وهو: نفي الريب عما ثبت في القرآن الكريم من صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة التوحيد وعقيدة البعث والجزاء.

([1])ينظر: فتح القدير للشوكاني(٤/٢٩٧ -٢٩٨) بتصرف، وصفوة التفاسير(٢/٤٦٦) .

([2])ينظر: تفسير الرازي(٢٥/١٥١) بتصرف .

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

١) **الإتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ).

٢) **جامع البيان في تأويل القرآن**: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبي جعفر الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

٣) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**: لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري (ط٥، المدينة المنورة، السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ).

٤) **تفسير المراغي**: لأحمد بن مصطفى المراغي (ط١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ-١٩٤٦م).

٥) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**: لـ.د وهبة بن مصطفى الزحيلي (ط٢، دمشق، دار الفكر المعاصر-١٤١٨هـ).

٦) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

٧) **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ).

٨) **التحرير والتنوير**: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

٩) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق.

تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).

١٠) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).

١١) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، **تحقيق** علي عبد الباري عطية (ط١ بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

١٢) **بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز**: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تحقيق: محمد علي النجار (لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة).

١٣) **البرهان في علوم القرآن**: لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ).

١٤) **مباحث في علوم القرآن**: لصبحي الصالح (ط ٣٤، دار العلم للملايين ٢٠٠٠م).

١٥) **الناسخ والمنسوخ**: لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي. **تحقيق**: د. محمد عبد السلام محمد (ط١، الكويت، مكتبة الفلاح –، ١٤٠٨هـ).

١٦) **الجامع الكبير– سنن الترمذي**: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (بيروت–دار الغرب الإسلامي ١٩٩٨م).

١٧) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**: لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (ط١، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ).

١٨) **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش(ط٢–القاهرة– دار الكتب المصرية ١٣٨٤هـ).

١٩) **جمال القراء وكمال الإقراء**: لعلي بن محمد الهمداني المصري الشافعي، علم الدين السخاوي (ت:٦٤٣هـ). تحقيق: د. مروان العطيَّة–د. محسن خرابة، نشر: دار المأمون للتراث– دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ–١٩٩٧م.

٢٠) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل**: لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت–دار إحياء التراث العربي).

٢١) **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (ط١– بيروت– دار الكتب العلمية ١٤١١هـ).

٢٢) **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**: لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر–عثمان جمعة ضميرية–سليمان مسلم الحرش(ط٤ دار طيبة ١٤١٧هـ).

٢٣) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي **تحقيق**: محمد عبد الرحمن المرعشلي (ط١–بيروت–دار إحياء التراث العربي ١٤١٨هـ).

٢٤) **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**: لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني الحسيني، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م).

٢٥) **تفسير القرآن**: لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (ط١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ).

٢٦) **المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تحقيق: صفوان عدنان الداودي (ط١، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية–١٤١٢هـ).

٢٧) **معاني القرآن وإعرابه**: لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج. **تحقيق**: عبد الجليل عبده شلبي (ط١، بيروت، عالم الكتب-١٤٠٨هـ).

٢٨) **تهذيب اللغة**: لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت:٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي-بيروت ط الأولى، ٢٠٠١م).

٢٩) **مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت:٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٠) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز(بيروت-دار المعرفة، ١٣٧٩م).

٣١) **القاموس المحيط**: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، (ط ٨، بيروت-لبنان ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م).

٣٢) **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ط.دار صادر-بيروت ط.٣-١٤١٤هـ).

٣٣) **مفاتيح الغيب**: لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ط٣-بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٣٤) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، (ط٣- بيروت- دار العربي ١٤٠٧هـ).

٣٥) **صفوة التفاسير**: لمحمد علي الصابوني (ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، ١٤١٧هـ)..

٣٦) **فتح القدير**: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، (ط١،- دمشق، بيروت-دار الكلم الطيب ١٤١٤هـ).

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
مقدمـة	١
أهمية الموضوع	٢
منهج البحث	٣
هيكل البحث	٥
التمهيد: وفيه تعريفات العنوان البحث، ويشتمل على ثلاثة مطالب:	٨
المطلب الأول: تعريفات العنوان.	٩
المطلب الثاني: سبب التسمية.	١٢
المطلب الثالث: أقسام التفسير.	١٣
الفصل الأول: وفيه دراسة نظرية عن التفسير الموضوعي، وفيه أربعة مباحث:	٢٠
المبحث الأول: مقدمات عن التفسير المقارن وفيه أربعة مطالب:	٢١
المطلب الأول: نشأة التفسير الموضوعي.	٢٢
المطلب الثاني: أسباب ظهور التفسير الموضوعي المعاصر.	٢٨
المطلب الثالث: أهمية التفسير الموضوعي.	٢٩
المطلب الرابع: أبرز الكتب التي ألفت في التفسير الموضوعي.	٣٠
المبحث الثاني: ألوان التفسير الموضوعي ونماذج منه، وفيه ثلاثة مطالب:	٣١

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المطلب الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.	٣٢
المطلب الثاني: الموضوع القرآني.	٣٧
المطلب الثالث: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.	٤١
المبحث الثالث: علم المناسبات وعلاقتها بالتفسير الموضوعي وفيه ستة مطالب:	٤٣
المطلب الأول: تعريف المناسبات، لغة واصطلاحاً.	٤٤
المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات.	٤٧
المطلب الثالث: مسألة ترتيب السور.	٥٠
المطلب الرابع: الضوابط المرعية في المناسبات.	٥٤
المطلب الخامس: أشهر العلماء الذين اعتنوا بالمناسبات من المفسرين.	٥٧
المطلب السادس: نموذج لمناسبات سورة المنافقون.	٦٢
المبحث الرابع: خطوات البحث في التفسير الموضوعي، وفيه مطلبان::	٦٧
المطلب الأول: خطوات البحث في موضوع من خلال القرآن الكريم.	٦٨
المطلب الثاني: الخطوات المرحلية للسير مع السورة القرآنية في التفسير.	٧٠
الفصل الثاني: وفيه دراسة تطبيقية للوني التفسير الموضوعي، وفيه نموذجان:	٧٣

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
النموذج الأول: نموذج " القوة في القرآن" نموذجا للموضوع القرآني، وفيه ثلاثة مباحث:	٧٤
المبحث الأول: وفيه مفهوم القوة، ودلالتها في السياق القرآني.	٧٤
المبحث الثاني: مصادر القوة.	٨١
المبحث الثالث: وفيه أنواع القوة ومقوماتها.	٨٩
النموذج الثاني: نموذج تفسير (سورة السجدة) تفسيراً موضوعياً وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث:	١٠٨
المبحث الأول: القرآن حق ومنزل من عند الله.	١٢٠
المبحث الثاني: إثبات أسس أصول الاعتقاد (الرسالة– التوحيد –البعث والجزاء).	١٢٢
المبحث الثالث: موقف المؤمنين والكافرين من آيات القرآن الكريم وجزاء الفريقين.	١٢٩
المبحث الرابع: التأكيد على وجوب الإيمان بأسس أصول الاعتقاد (الرسالة – التوحيد – البعث والجزاء.	١٣٣
الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات التي أخلص إليها في هذا البحث.	١٣٩
فهرس المصادر والمراجع.	١٤٠
فهرس الموضوعات.	١٤٥

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.